ردمد: ٤٥٨٦-٢٥٢١

العتبة العباسية المقدسة
الهيأة العليا لإحياء التراث

الخزانة

مجلة علمية نصف سنوية

تعنى بالتراث المخطوط والوثائق تصدر عن مركز إحياء التراث

العدد التاسع عشر، السنة العاشرة، شهر شعبان ١٤٤٧هـ . شباط ٢٠٢٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الخزانة

مجلة علمية نصف سنوية

تعنى بالتراث المخطوط والوثائق تصدر عن مركز إحياء التراث

العدد التاسع عشر

السنة العاشرة، شهر شعبان ١٤٤٧هـ . شباط ٢٠٢٦م

العتبة العباسيّة المقدّسة
الهيأة العليا لإحياء التراث
مركز إحياء التراث

العتبة العباسيّة المقدّسة. الهيأة العليا لإحياء التراث. مركز إحياء التراث.
الخزانة : مجلّة علميّة نصف سنويّة تعنى بالتراث المخطوط والوثائق / تصدر عن مركز إحياء التراث - كربلاء، العراق : العتبة العباسيّة المقدّسة، الهيأة العليا لإحياء التراث، مركز إحياء التراث، 1438 هـ . = 2017 -
مجلد : إيضاحيات ؛ 24 سم
نصف سنويّة.- العدد التاسع عشر، السنة العاشرة (شباط 2026)-
تتضمّن إرجاعات ببليوجرافيّة.
النصّ باللغة العربيّة ومستخلصات باللغة العربيّة والإنجليزيّة.
ISSN: 2521 - 4586
1. المخطوطات -- الدوريات 2. الدوريات العربيّة--العراق. أ. العنوان.

LCC: Z115.1 .A8378 2026 NO. 19

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة

الترقيم الدوليّ ردمد: ٤٥٨٦-٢٥٢١

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢٢٤٥ لسنة ٢٠١٧م

كربلاء المقدّسة – جمهورية العراق

صندوق بريد: كربلاء المقدّسة (٢٣٣)

يمكن الإتصال أو التواصل مع المجلة من خلال:
٠٠٩٦٤ ٧٨١٣٠٠٤٣٦٣
للاطلاع على إصدارات مجلة الخزانة ومتابعة جديدها، يُرجى مسح رمز QR أدناه:

سعر البيع
داخل العراق: 10$ - خارج العراق: 15$

الإشراف العام

سماحة السيّد أحمد الصافيّ

رئيس التحرير

السيّد ليث الموسويّ

مدير التحرير

محمّد محمّد حسن الوكيل

سكرتير التحرير

د. حسين هليب الشيبانيّ

هيأة التحرير

د. علي حبيب العيدانيّ (تدقيق اللغة العربية)

د. عمار محمود الكعبيّ (التنسيق والمتابعة)

د. مهدي مجتهديّ (التنسيق والمتابعة)

حسن عريبي الخالديّ (التنسيق والمتابعة)

الإخراج الفنيّ

علي حسين علوان التميميّ

الترجمة الأنكليزية

الشيخ حبيب آل زعتر / لبنان

الهيأة الاستشارية

الأستاذ المتّمرس الدكتور طارق عبد عون الجنابي (العراق)

كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

الأستاذ المتّمرس نبيلة عبد المنعم (العراق)

مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور أحمد شوقي بنبين (المغرب)

مدير الخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط

الأستاذ الدكتور سعيد عبد الحميد (مصر)

وزارة الآثار المصرية

الأستاذ الدكتور فاضل مهدي بيّات (تركيا)

مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية

الأستاذ الدكتور منذر علي المنذري (العراق)

كلية الآداب/ جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور وليد محمّد السراقبي (سوريا)

كلية الآداب/ جامعة حماة

الأستاذ الدكتور وليد محمود خالص (الأردن)

مجمع اللغة العربية /عمّان

الأستاذ الدكتور عباس هاني الچرّاخ (العراق)

مديرية التربية/ محافظة بابل

الأستاذ المساعد الدكتور علي فرج العامري (إيطاليا)

كلية العلوم الاجتماعية/ جامعة ميلانو بيكوكا

مكتبة الأمبروزيانا/ ميلانو

شروط النشر

- تنشر المجلّة البحوث العلمية والدراسات المتعلّقة بالمخطوطات والوثائق، والنصوص المحقّقة، والمتابعات النقديّة الموضوعيّة لها.
- يلتزم الباحث بمقتضيات البحث العلميّ وشرائطه في الإفادة من المصادر والإحالة عليها، والأخذ بأدب البحث في المناقشة والنقد، وألّا يتضمّن البحث أو النصّ المحقّق مواضيع تثير نعرات طائفية أو حساسية معينة تجاه ديانة أو مذهب أو فرقة.
- أن يكون البحث غير منشور سابقاً، وليس مقدّماً إلى أية وسيلة نشر أخرى، وعلى الباحث تقديم تعهّد مستقل بذلك.
- يُكتب البحث بخط (Simplified Arabic) بحجم (١٦) في المتن، و(١٢) في الهامش، على أن لا يقل عن (٢٠) صفحة (A4).
- يُقدّم البحث أو النصّ المحقّق مطبوعاً على ورق (A4) بنسخة واحدة مع قرص مدمج (CD)، على أن تُرقّم الصفحات ترقيمًا متسلسلًا.
- تقديم ملخص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في صفحة مستقلّة ويضمّ عنوان البحث، وأن لا يزيد الملّخص على صفحة واحدة.
- تُراعى الأُصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة، بإثبات اسم المصدر، واسم المؤلّف، ورقم الجزء، ورقم الصفحة، مع مراعاة أن تكون الهوامش مرقّمة بشكل مستقل في كلّ صفحة.
- يزوّد البحث بقائمة المصادر بشكل مستقل عن البحث، وتتضمّن اسم المصدر أو المرجع أولاً، فاسم المؤلِّف، ويليه اسم المحقّق أو المُراجع أو المترجم في حال وجوده، ثم الطبعة، فدار النشر، ثم البلد الذي نُشر فيه، وأخيراً تاريخ النشر، ويُراعى في إعدادها الترتيب الألفبائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجلات، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية.

- تخضع البحوث لبرنامج الاستلال العلمي ولتقويم سريّ لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تُعاد إلى أصحابها سواء قُبلت للنشر أم لم تُقبل، على وفق الضوابط الآتية:
- يُبلَّغ الباحث أو المحقّق بتسلّم المادة المرسلة للنشر خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.
- يُبلَّغ أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها وموعده المتوقّع خلال مدّة أقصاها شهران.
- البحوث التي يرى المقوّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تُعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحدّدة، ليعملوا على إعادة إعدادها نهائياً للنشر.
- البحوث المرفوضة يبلّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
- يمنح كلّ باحث أو محقّق نسخة واحدة من العدد الذي نُشر فيه بحثه، مع ثلاثة مستلات من المادة المنشورة، ومكافأة مالية.

تراعي المجلّة في أولويّة النشر:

١- تاريخ تسلّم رئيس التحرير للبحث.

٢- تاريخ تقديم البحوث التي يتم تعديلها.

٣- تنوّع مادة البحوث كلّما أمكن ذلك.

- البحوث والدراسات المنشورة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلّة.
- تُرتَّب البحوث على وفق أسس فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث.
- يرسل المحقّق أو الباحث الذي لم يسبق له النشر في المجلّة موجزاً عن سيرته العلميّة، وعنوانه، وبريده الإلكتروني؛ لأغراض التعريف والتوثيق، على بريد المجلة الإلكتروني: Kh@hrc.iq
- لهيأة التحرير الحق في إجراء بعض التعديلات اللازمة على البحوث المقبولة للنشر.
- تنتخب هيأة التحرير البحوث المتميِّزة المنشورة في المجلَّة وتتكفّل بإعادة طباعتها بشكل مستقلّ.

بسم الله الرحمن الرحيم

عَزِيمَةٌ أَبَتْ أَنْ تَشِيخَ

رئيس التحرير

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيبنا محمّد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

في زمنٍ خضعت فيه النفوس لزخارف الدّنيا وفِتنها، ومالت فيه العقول إلى الخمولِ والجمود حتى كادت فيه الهِمم تكِلُّ وتندثر، تطلُّ علينا رموزٌ عظيمة، تُزيّن سماء الفكر بأنوار العلم، كالنجوم الزاهرة والكواكب المتلألئة، فتَهدي طالبيها إلى دروب المعرفة، لتُثبت بالبرهان العمليّ أنَّ الحياةَ ليست كلمةً عابرةً لا معنى لها، بل هي مسيرةُ عطاءٍ لا تنقطع، ورحلةُ بناءٍ زادها الإخلاص والتقوى والعلم النافع، وثمرتها العمل الصالح.

نقفُ في هذه السطور وقفة إجلالٍ وإكبار، أمام سيرةِ عالمٍ جليلٍ، ناهز التسعين سنةً من عمره المبارك، لم يزدد معها إلّا رسوخاً وثباتاً. أمام مسيرةٍ كُرِّست بالكامل لخدمة الدين والمذهب، لم تكن لترى النور لولا ذلك الشعور العميق بالمسؤولية، والإحساس بالتكليف الشرعيّ الذي أرّق مضجعَه - كحالِ سابقيه من علمائنا الأعلام قدّس الله أنفسهم الزكية- حين أبصر ثغرةً في جدار التراث كادت أنْ تضيع معها جهود قرونٍ من الزمن.

فقد صدرت مؤخّراً موسوعة (مؤلّفات الإماميّة) في (٢٣) مجلّدًا بيراع مؤلِّفها العلّامة المحقّق سماحة السيّد أحمد الحسينيّ -أدام الله بركات وجوده- جمع فيها عناوين آلاف الكتب ممّا ألّفه علماء الطائفة الإماميّة في مختلف العلوم مع بيانٍ

لأهمّ ما حوته بين دفّتيها ممّا اطّلع عليه نظره المبارك؛ لتكون جسراً يربط الحاضر بالماضي، ومنارةً يهتدي بها طالبو الحقيقة. وهو جهدٌ تنوء بحمله المؤسّسات البحثيّة مع تعدّد ملاكاتها، فما بالك برجلٍ واحدٍ في العقدِ العاشرِ من عمره.

لقد آمن هذا العالِم بأنّ الحفاظ على نتاج علماء الإماميّة ليس مجرّد ترفٍ فكريّ، بل هو صونٌ للهوية، وعمادُ أمانٍ تُحمى به الثغور. ففي الوقت الذي كان بإمكانه الركون إلى الراحة والاستمتاع بملذّات الحياة ونيل الوجاهة، اختار عُزلة الباحث، وصبر المحقّق، وعناء المفهرس، نائياً بنفسه عن بريق الدنيا، ليعيش بين طيّات المخطوطات وغبار المكتبات.

إنَّ ضخامة هذا المنجز في هذه السنّ المتأخرة، هي رسالةٌ صامتة لكلّ جيلِ الشباب؛ مفادها أنَّ الإخلاص إذا تمكّن من القلب، طُوِّعت له الجوارح، وتلاشت أمامه مصاعب الجسد.

إنّنا إذ نسلّط الضوء على هذه الشخصية المباركة، لا نهدف فقط للتوثيق، بل لتقديم أُنموذجٍ يُحتذى به في الثبات والإرادة الصلبة، ولنقول للعالم: إنَّ تراثنا حيٌّ ما دام فيه رجالٌ يمتلكون بصيرة هذا العالِم وعزيمته.

حفظ الله علماءنا الأعلام، وجعلنا من السائرين على نهجهم في صون أمانة العلم والدين.

والحمدُ لله أولاً وآخراً.

المحتويات

الباب الأول: دراسات تراثية

١٧	دِيوَانُ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بِصَنْعَةِ أَبِي هِفَّانَ المِهْزَمِيِّ وَمَخْطُوطَاتُهُ	أ. د. عليّ محسن بادي جامعة سومر العراق
٩٧	السَّيِّدُ نَجمُ الدّينِ ابنُ السَّيِّدِ عَبدِ اللهِ الحُسينيُّ الجَزائريُّ وتراثُهُ المَخطُوط (ت ١٠٧٩هـ)	الشيخ محمّد لطف زاده التبريزيّ مركز الشيخ الطوسيّ قدس سره للدراسات والتحقيق العراق
١٣٣	الأَعْلَامُ مِنْ كِتَابِ دَارِ السَّلَامِ لِلْمِيرْزَا حُسَيْنِ النُّورِيِّ قدس سره	الشيخ عبّاس يونس الحسين الزيديّ الحوزة العلميّة في النجف الاشرف العراق
٢٦١	المَنهَجُ فِي العُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ عندَ العُلَماءِ العَرَبِ والمُسلِمينَ (علومُ الطبِّ والصيدلةِ والفلكِ أنموذجًا)	د. شريف عليّ الأنصاريّ (كبير باحثين بمركز المخطوطات - مكتبة الإسكندرية) مصر

الباب الثاني: نصوص محقّقة

٢٩١	شَرْحُ (إِعْرَاب) دِيبَاجَةِ المِصْبَاحِ فِي النَّحْوِ لِلْمُطَرِّزِيِّ، لِعَبْدِ اللَّطِيفِ بْنِ جَلَالِ الدِّينِ القَزْوِينِيِّ، الشَّهِيرِ بِقَاضِي بِلَاط (ت ٨٥٣هـ)	د. عليّ سليمان الجوابرة كلّيّة الآداب - جامعة طيبة - المدينة المنوّرة السعودية

الباب الثالث: نقد النتاج التراثي

٣٩٣	رَسَائِلُ جَامِعِيَّةٌ أَمْ تَجْهِيلٌ؟ لِمُنَاسَبَةِ تَقْدِيمِ زَيْنَبَ خِطَابِيٍّ رِسَالَتَهَا المَوْسُومَةَ: «المُسْتَعْصِمُ بِاللَّهِ وَسُقُوطُ بَغْدَادَ»	يوسف الهادي محقق وباحث تراثي العراق

الباب الرابع: فهارس المخطوطات وكشّافات المطبوعات

٤٧٩	بِبلِيوغْرَافِيَا النُّصُوصِ المُحَقَّقَةِ فِي الرَّسَائِلِ وَالأَطَارِيحِ فِي الجَامِعَاتِ العِرَاقِيَّةِ مِنْ سَنَةِ (١٩٦٦م-٢٠٢٥م) القسم الأول	علي عدّاي الحسناويّ مركز إحياء التراث العراق
٥٣٩	مُصَوَّرَاتُ المَخطُوطَاتِ (المُنْمَنَمَةِ وَالمُصَوَّرَةِ) فِي مَركَزِ تَصوِيرِ المَخطُوطَاتِ وفَهرَسَتِهَا فِي العَتَبَةِ العَبَّاسِيّةِ المُقَدّسَةِ	صلاح مهديّ السرّاج مدير مركز تصوير المخطوطات وفهرستها العتبة العبّاسيّة المقدّسة العراق

الباب الخامس: أخبار التراث

٦٠٣	مِن أَخبَارِ التُّراث	هيأة التحرير

رَسَائِلُ جَامِعِيَّةٌ أَمْ تَجْهِيلٌ؟

لِمُنَاسَبَةِ تَقْدِيمِ زَيْنَبَ خطّابِي رِسَالَتَهَا المَوْسُومَةَ: «المُسْتَعْصِمُ بِاللَّهِ وَسُقُوطُ بَغْدَادَ»

Academic Theses or Misguidance?

On the Occasion of Zaynab Khattabi Presenting Her Thesis Titled "Al-Mustasim bi-Allah and the Fall of Baghdad"

يوسف الهادي

محقق وباحث تراثي

العراق

Yusuf Al-Hadi

Manuscript Editor and Heritage Researcher

Iraq

الملخّص

كانت الباحثة الفاضلة السيّدة خطَّابي قد صرحت في مقدمة رسالتها «المستعصم بالله وسقوط بغداد»، أنها «اعتمدت على منهجية علمية»؛ لكننا وجدناها خصصت الشطر الأعظم منها لما سمَّته في الفصل الثاني بـ«دور ابن العلقميّ في الغزو المغوليّ على بغداد». ثم انطلقت - تقليداً منها لمن سَبَقها مِن كثير ممن كتبوا في واقعة الغزو المغوليّ - وبعد أنْ أهملت رواية المؤرّخين البغداديّين الذين كانوا داخل بغداد عند دخول الغزاة إليها سنة ٦٥٦هـ، لتستند إلى الرواية التقليدية السهلة المنال التي كتبها مؤرّخون شاميّون/مصريّون متأخرون جداً عن زمن حدوث تلك الواقعة، فضلاً عن أنهم كتبوها وهم تحت تأثير معتقدات تكفيرية متطرفة؛ لتكرِّر ما دأب أولئك المؤرّخون على ترديده من أنّ شخصاً واحداً فقط هو الوزير ابن العلقميّ اتصل بالمغول ودعاهم - برسالتين - لغزو العراق فهبُّوا ملبِّين دعوته بجلب الألوف المؤلّفة من جنودهم وجنود عدد من الحكّام المسلمين وغير المسلمين، فدخلوا العراق وأسقطوا الخلافة وارتكبوا المجازر المروِّعة بحقِّ سكَّانه. وقد اختار مؤرّخو هذه الرواية طريقة عجيبة لكتابة تلكما الرسالتين، وهي أنّ الوزير - ولكي لا تُكتَشَف رسالتاه - عَمَدَ إلى حلاقة شعرَي رأسَي أخيه وأحد غلمانه، ثم نقش الرسالتين على جمجمتيهما بآلة حادَّة بحيث صار كل حرف من حروفهما «كالحفرة في الرأس»، ثم انتظر إلى أنْ نَبَتَ شَعر رأسيهما فأرسلهما إلى بلاد منغوليا على بعد آلاف الكيلومترات من بغداد بعد أنْ حَفَرَ ملاحظة في آخر كلّ رسالة - على الجمجمة أيضاً - تقول: «إذا قرأتم الكتابَ فاقطعوه»؛ فنفَّذ المغول وصيَّته وذبحوا أخاه وغلامَه.

وهكذا تخلَّت السيّدة الباحثة عن «المنهجية العلمية» التي وعَدَتْنا بها، لتروي لنا أساطير من أمثال أسطورة «الحفر على الجماجم» وغيرها ممّا نرجو أنْ نكون وُفِّقنا إلى مناقشته.

Abstract

The esteemed researcher, Ms. Khaṭṭābī, had stated in the introduction to her thesis, Al-Mustaʿṣim bi-Allāh and the Fall of Baghdad, that she "relied on a scientific methodology." However, we found that she devoted the greatest portion of it to what she termed in the second chapter as "The Role of Ibn al-ʿAlqamī in the Mongol Invasion of Baghdad." Then, following the example of many who preceded her in writing about the incident of the Mongol invasion, and after neglecting the accounts of Baghdadi historians who were inside Baghdad when the invaders entered it in 656 AH, she proceeded to rely on the traditional, easily accessible narrative written by later Syrian/Egyptian historians who wrote long after the time of that event, in addition to writing under the influence of extremist Takfīrī beliefs. Thus, she repeated what those historians were accustomed to repeating: that a single person, the Vizier Ibn al-ʿAlqamī, contacted the Mongols and – with two messages – invited them to invade Iraq, whereupon they responded to his call, bringing thousands of their own soldiers and those of a number of Muslim and non-Muslim rulers. They entered Iraq, toppled the Caliphate, and committed horrific massacres against its inhabitants. The historians of this narrative chose a strange method for writing those two messages: that the Vizier – so that his messages would not be discovered – shaved the hair of the heads of his brother and one of his servants, then carved the messages onto their skulls with a sharp instrument so that each letter became "like a pit in the head." He then waited until the hair on their heads grew back and sent them to Mongolia, thousands of kilometers from Baghdad, after carving a note at the end of each message – also on the skull – saying: "If you read the document, cut it off." The Mongols carried out his instruction and slaughtered his brother and servant.

Thus, the researcher abandoned the "scientific methodology" she promised us, to narrate to us legends such as the "carving on skulls" and others, which we hope to have succeeded in discussing.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة:

هذه «مذكرة مقدَّمة لنَيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط»، إلى قسم التاريخ بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالمة في الجمهورية الجزائرية؛ تقدَّمت بها الطالبة زينب خطّابي.

ذُكر على غلاف المذكرة أنّ مَن دقَّق فيها لجنة مكوَّنة من: الأستاذة الدكتورة سناء عطابي رئيساً؛ الأستاذ الدكتور كمال بن مارس مشرفاً ومقرِّراً؛ الأستاذ عبد القادر مباركية عضواً مناقشاً.

أمّا منهجها في كتابة بحثها هذا فقد أوضحته في الصفحة الخامسة من مقدّمتها: «اعتمدتُ في هذا الموضوع على منهجية علمية تمثّلت في المنهج الوصفيّ لتقصّي وجمع المادة العلمية من مختلف المصادر والمراجع وتركيبها وبناءها[1]، بالإضافة إلى المنهج التحليليّ، لإخضاع المادة العلمية للنقد».

وسنرى هل وفت بوعودها الكبيرة هذه؟ فلنبدأ:

بعد عقود طويلة من الجهود التي بُذلت في الكشف عن مخطوطات جمَّة من المصادر التراثية، ومنها تلك التي قام المحقّقون بطبعها وشكَّلت معلوماتها زيادات مُهمة في شتّى فروع المعرفة، كنّا نودُّ لو أنّ أيّ باحث يتقدَّم ببحث لنيل درجة علمية أنْ يسأل نفسه: ما الجديد الذي يجب أنْ آتي به في بحثي هذا ممّا لم يلتفت إليه مَن سَبَقني، وممّا هو ضروري للوصول إلى الحقيقة العلمية؟

فإنْ غَفَلَ الباحث عن ذلك ينبغي للأستاذ الذي يُقترح عليه البحث أنْ يسأل تلميذه: هل لديك كشف جديد بهذا الشأن، أم أنك ستكتفي بنقل ما ستجده في المصادر وترصفه سطوراً تترى كما وردت في كتابات مَن سبَقك؟

(١) كذا والصواب: وبنائها.

قد يُقال: إنّ المصادر تبقى كما هي، ولا يمكن أنْ نجد فيها معلومات جديدة كلما ازداد تنقيبنا. وهو كلام صحيح لكن مع ملاحظة:

إن الجديد هو ما يستخلصه الباحث من تلك النصوص، أي أنْ يلتفت - من خلال مقارنة الروايات التي بين يديه - إلى اكتشافٍ جديدٍ يتعلّق بحقائق تُلقي أضواء على ما بقي خافياً أو غامضاً في موضوع البحث، أو أنَّ مَن سبقه لم يؤدِّ حقَّ تلك النصوص من البحث واستخلاص النتائج.

يشكِّل اكتشاف مخطوطات أو مصادر جديدة خاصة بموضوع البحث غنيمةً تجعل المهتمين بالكشف - بحسب اختصاص كلّ واحد منهم - لا يقرّ لواحدهم قرار إلى أنْ يحصل على نسخة من ذلك الاكتشاف سواء أكان مخطوطاً أم مطبوعاً؛ لكي يستفيد منه فيما يُغني بحثه.

وهذان الأمران لم تلتفت لهما السيّدة زينب خطابي فوقعت في تقصيرين جوهريّين:

أ. إنها لم تأتِ إطلاقاً (وأضغطُ على «إطلاقاً» بقوة) بأيّ جديدٍ في بحثها بأنْ تستخلص من النصوص المتوافرة لديها اكتشافاً جديداً بما ينير ما ظلّ خافياً أو غامضاً في الوقائع موضع البحث.

ب. لم تُشِرْ إلى اكتشاف مخطوطةٍ جديدة أو مصادر ومراجع جديدة خاصّة بموضوع بحثها.

واقعة الغزو المغولي للعراق: روايتان لا رواية واحدة

بعد عقودٍ طويلةٍ من بحثنا في غزوات المغول للعالم الإسلاميّ وخصوصاً واقعة غزوهم للعراق وهو الغزو المهول الذي أدى إلى اضمحلال الخلافة العباسيّة، اكتشفنا وجود روايتين لهذه الواقعة:

الأولى: رواية المؤرّخين البغداديّين ممّن كانوا داخل بغداد عندما اقتحمها المغول، ورأوا رأي العين الوقائع المرعبة التي حدثت خلال ذلك الاقتحام، وهي الرواية التي سميتُها الرواية البغدادية التي كان لنا شرف اكتشافها والتنقيب عن نصوصها وتمييزها عن الرواية الثانية. وأشهر مؤرّخيها أركان مَن سمَّيتهم «مثلث مؤرخي بغداد الذهبيّ»:

ابـن السـاعي، وابن الكازرونيّ، وابن الفوطـيّ، فضلاً عن غيرهم ممّن عاصر الواقعة كابن العبريّ، وقطب الدين الشيرازيّ، أو مَن اقتبس منهم مثل مؤلّف كتاب الحوادث، ورشيد الدين الهمذانيّ، والأشـرف الغسَّـاني مؤلّف العسجد المسبوك.

الثانيـة: روايـة المؤرّخين الشـاميّين/المصريّين، وهي الرواية المختَلَقة التي اسـتندت إلى إشـاعة أطلقها قائد الجيش العباسـيّ الدويدار الصغير، فصادفت هوىً في نفوسـهم فرووها وطفقوا يزيدون أو يعدِّلون فيها على مرِّ القرون، بل وما زالت تُعَرَّض حتى اليوم للتحريف بالزيادة والنقصان. وأشهر كُتَّاب هذه الرواية ابن واصل، والذهبيّ، وابن كثير، ومَـن تابَعهـم مثل ابن تغري بردي وغيره.

وقـد أوكلتُ التوسّـع فـي بحث هاتيـن الروايتيـن وتفاصيلهما ووقائع الغـزو المغوليّ اسـتناداً إلـى الروايـة البغداديـة فقـط إلى كتابي الـذي قدَّمتُه للطبـع تحت عنوان:

«الروايـة البغداديـة للغـزو المغولـيّ للعـراق سـنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، تُنشـر كاملـةً لأول مرَّة»

مصادر جَهِلتْها أو أهملتْها وهي مُهمة لبحثها:

غابت عن بحث السيّدة خطّابي مصادر خطيرة سواء من مصادر الرواية البغدادية أو الرواية الشـاميّة/المصريّة المختَلَقة التي اعتمَدَتْها، وكان المأمول من أسـاتذتها المشرفين علـى رسـالتها تنبيههـا علـى تلك المصـادر التي ينبغي لهـا أنْ تفتِّش عنهـا، وهي مطبوعة ومتوافرة منذ عشـرات السـنين. وسـأذكر إلى جانب كلّ كتاب السنةَ التي طُبع فيها ليدرك القـارئ أنـه مـا كان ينبغي للباحثة السـيّدة خطّابي أو أسـاتذتها أنْ يغفلـوا عنها بعد هذه السـنين الطويلة على صدورها.

فمن كُتب الرواية البغدادية الأصيلة:

١. كتابـات ابن السـاعي البغداديّ، وأشـهرها كتابه الجامع المختصر فـي عنوان التواريخ وعيـون السـير الـذي عُثـر على الجزء التاسـع منـه فقط فطُبـع سـنة ١٩٣٤م. أمّا بقية رواياتـه فموجـودة بصـورة متناثرة في مؤلّفـات بعض المؤرّخيـن وهي كثيرة.

٢. كتابـات ابـن الكازرونيّ البغداديّ التي عُثر على واحـد منها، وهو مختصر التاريخ من

أول الزَّمَان إلى منتهى دولة بني العباس، فطُبع سنة ١٩٧٠م.

٣. كتابات ابن الفوطيّ البغداديّ، وأهمّها مجمع الآداب في معجم الألقاب الذي لم يُعثر إلَّا قسم مختصر لواحد فقط من أجزائه، فطُبع في دمشق في السنوات ١٩٦٢ – ١٩٦٧. وكانت قطعة منه قد نُشِرت في أوريانتال مغازين سنة ١٩٤٠م.

٤. كتاب الحوادث المجهول المؤلّف الذي تكمن موثوقيّته في أنه استند بصورة واسعة إلى كتابات ابن الساعي وابن الكازرونيّ، وصدرت طبعته الأولى سنة ١٩٣٢م.

٥. تاريخ الزمان لابن العبريّ، وصدر على شكل حلقات في مجلة المشرق بين السنوات ١٩٤٩ و١٩٥٦، ثم صدر عن دار المشرق في بيروت سنة ١٩٨٦م، مع أنّ السيّدة خطّابي استندت إلى كتابه تاريخ مختصر الدول، لكن تاريخ الزمان فيه معلومات خاصّة بوقائع الغزو المغوليّ لم تُذكر في التاريخ المختصر.

٦. العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك للأشرف الغسانيّ الذي أفرط في النقل من مؤلّفات ابن الساعي، برغم أنه بعد أنْ أورد نصوصاً مُهمة من ابن الساعي، نقل ملخَّص الرواية الشاميّة/المصريّة للواقعة. ولا نعلم هل هذا الملخص في الكتاب هو من الغسانيّ أم أنّ أحد النُّسَّاخ زاده فيه؟ طُبع الكتاب سنة ١٩٧٥م.

ومن كتب الرواية الشاميّة/المصريّة، وهي الرواية التي التزمت بها السيّدة خطّابي من غير أنْ تعلم ذلك، فقد غابت عن بحثها مصادر تُعدّ من أركان هذه الرواية ومنها:

١. مفرِّج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل، وخصوصاً الجزء السادس الذي صدر سنة ٢٠٠٤، أمّا أجزاؤه الخمسة الأوَل فصدرت خلال السنوات ١٩٥٣ – ١٩٧٧م.

٢. المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٠٧م، ثم توالت طبعاته.

٣. ذيل مرآة الزمان لليونينيّ الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٥٤ – ١٩٥٥م.

٤. تاريخ حوادث الزَّمَان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه لابن الجزريّ، طُبعت في ١٩٨٨م نسخة ملخَّصة منه اختارها الذَّهَبيّ، وفيها أخبار واقعة بغداد.

٥. تتمة المختصر المعروف بتاريخ ابن الورديّ، صدرت طبعته الأولى سنة ١٨٦٨،

وطبعة ثانية سنة ١٩٦٩، وأخيراً طُبع في ١٩٩٦م.

٦. عيون التواريخ لابن شاكر ج٢٠ وطُبع سنة ١٩٨٠، وكانت بقية أجزائه قد صدرت في سنوات متفرقة.

٧. فوات الوفيات لابن شاكر أيضاً صدرت له طبعة سنة ١٩٥١، وكانت قد صدرت قبلها طبعة أو طبعتان، ثم جاءت طبعته الأخيرة سنة ١٩٧٤م.

٨. الوافي بالوفيات للصفديّ وطُبعت أجزاؤه في السنوات من ١٩٩١ - ٢٠٠٤م.

٩. تاريخ مجموع النوادر ممّا جرى للأوائل والأواخر لقرطاي العِزيّ الخزنداريّ، طُبع سنة ٢٠٠٥م.

١٠. نزهة الأنام في تاريخ الإسلام لابن دُقماق، طُبع سنة ١٩٩٩م.

١١. الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين لابن دُقماق أيضاً، طُبع سنة ١٩٨٢، ثم في ١٩٨٥، ثم في ٢٠٠٧م.

١٢. عقد الجمان للعينيّ (الجزء الخاص بالسنوات ٦٤٨ - ٦٦٤هـ)، صدر سنة ١٩٨٧م.

١٣. نهاية الأرب في فنون الأدب للنويريّ، وصدر عن دار الكتب المصرية في ١٨ جزءاً كان آخرها سنة ١٩٥٥، ثم طُبع سنة ٢٠٠٤م.

كما أهملت السيّدة الفاضلة زينب خطابي مراجع علميّة كتبها معاصرونا ممّن بحثوا في هذه الواقعة، مثل:

كتاب مختصر تاريخ بغداد في القديم والحديث لعليّ بن ظريف العبيديّ الأعظميّ (صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٢٦م، وصدرت الثانية سنة ٢٠٠٥م).

وكتاب العراق في عهد المغول الإيلخانيين للدكتور جعفر خصباك (صدر سنة ١٩٦٨م).

وكتاب سقوط الدولة العباسيّة ودَور الشيعة بين الحقيقة والاتهام للدكتور سعد الغامديّ (صدر سنة ٢٠٠٤م).

وبطبيعة الحال فإننا لن نشير إلى المصادر التي كتبها المؤرّخون الفُرس والأتراك، إذ ليس جميع الباحثين لديهم معرفة بهاتين اللغتين.

عنوان البحث

اختارت لرسالتها عنوان «الخليفة المستعصم بالله وسقوط بغداد»، وهذا يعني أنها ستبحث دور هذا الخليفة في سقوط عاصمة الخلافة على أيدي المغول، لكننا نُفاجأ بقولها: «تناولتُ في المبحث الأول: أحوال الخلافة العباسيّة والخليفة قُبيل الغزو المغوليّ لبغداد؛ والمبحث الثاني جاء عنوانه: دور ابن العلقميّ في الغزو المغوليّ على بغداد»[١].

إذاً، الخليفة لم يكن له دور في سقوط الخلافة بدليل أنها لم تَقُلْ «دور الخليفة في الغزو المغوليّ»، واكتفت ببحث أحواله؛ ومن وجهة نظرها فالمسؤول عن سقوط الخلافة هو الوزير ابن العلقميّ؛ وعليه كان ينبغي أنْ يكون عنوان بحثها بصيغة: ابن العلقميّ وسقوط الخلافة العباسيّة. لكنها - وكما سنرى - قد نقلت من المصادر أيضاً ما يجعل الخليفة المستعصم موضع الاتهام والتقصير في واقعة الغزو المغوليّ للعراق.

وقد وجدنا أنها حين عرَّفت بابن العلقميّ قالت: «هو الوزير ابن العلقميّ الرافضيّ محمد بن أحمد... »[٢]، فألحقت اسمه بنسبة «الرافضيّ»، وهي نسبة يُراد بها عادةً الهَمز واللَّمز والسَّب؛ لكونه كان شيعياً إمامياً اثني عشرياً، وإنّ الكُتَّاب الذين يستعملونها وصفاً لهذه الفرقة المسلمة إنما يهدفون من وراء ذلك إلى الطعن في دينهم، مع أنّ الشيعة يعلنون أنهم يتَّبعون الكتاب والسُّنة وما رواه أئمة أهل بيت رسول الله عن جدِّهم صلى الله عليه وآله. ويبدو أنها لا تعرف المعنى الدقيق لـ«الرافضيّ»، لكنها عندما وجدت كثيراً من مؤرّخي الرواية الشاميّة/المصريّة وكذلك بعض كتابنا المعاصرين يُلحقون اسم الوزير بنسبة «الرافضيّ»، ربَّما تصوَّرت أنها نسبة إلى قبيلة اسمها «آل رافض» (!)، أو «بنو رافض» (!)، ينتمي إليها هذا الوزير، ولو كانت تقصد بذلك المذهب الدينيّ للوزير فقد كان ينبغي لها أنْ تُلحق اسم الخليفة بنسبة «الحنبليّ»؛ لكونه حنبليَّ المذهب[٣]،

(١) الخليفة المستعصم بالله وسقوط بغداد، لخطَّابي: ص «هـ» من المقدمة.

(٢) الخليفة المستعصم بالله وسقوط بغداد: ٥٥.

(٣) ينظر: المناقب العباسيّة، لصدر الدين البصريّ: الورقة ١٤٧ب؛ مسالك الأبصار، لابن فضل الله العمريّ: ٢٤٤/٢٤.

وأنْ تذكر أباه المستنصر أيضاً بنسبة «الحنبلـيّ»؛ لكونه حنبلياً أيضاً[١]. وكذلك قائد الجيش الدويدار الصغير الذي عُرف بحنبليّته حتى إنه بنى مدرسة للحنابلة كمل بناؤها سنة ٦٣٧هـ[٢]، وعُرفت باسم المُجاهِدية.

دوافع اختيار الموضوع

تحت هذا العنوان من مقدمتها قالت الباحثة الفاضلة: «تعود دوافع اختياري لهذا الموضوع إلى ميولي لدراسة هذا النوع من المواضيع التاريخية لا سّيما سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسيّة، فهو حدث ذو أهمية وقيمة علمية كبيرة». وهذا يعني أنّ لديها شغفاً قديماً بهذا الموضوع، ولا بدَّ من أنها طالعت أكداساً من المصادر الخاصة به بحيث اهتدت أخيراً إلى ضرورة أنْ تكتب فيه بحثاً. ومع ذلك فقد لاحظَت الملاحظةَ الآتية: «بالرغم من وجود المصادر والمراجع حول هذا الموضوع، إلَّا أنّ المعلومات معادة في كلّ مصدر ومرجع، أي أنها متشابهة في مضامينها، ما يعسر الوصول إلى معلومات جديدة وإضافتها وأحياناً تكون بنفس اللغة والأسلوب»[٣].

وبما أنها أدركت ذلك الفَقْر في المصادر كما قالت، فقد كان ينبغي لها أنْ تبادر إلى:

١. البحث عن مصادر جديدة.

٢. أو أنْ تتخلى عن هذا الموضوع وتسأل المشرف مساعدتها في البحث عن موضوع آخر.

وهي لم تفعل هذا ولا ذاك، وإنما آثرت مواصلة الكتابة في هذا الموضوع فجاء بحثها بالصورة التي سنناقشها.

ونشير هنا إلى قولها «إنّ المعلومات معادة في كلّ مصدر ومرجع، أي أنها متشابهة في مضامينها»، فنقول: إنّ هذا التشابه في نصوص هذه الرواية التي أسميناها الشاميّة/المصريّة حتى في اللغة والأسلوب، إنما حَدَثَ لكونها رواية واحده استنسخها اللاحق من السابق على مرَّ القرون. فالرواية التي كتبها ابن واصل هي نفسها التي كتبها ابن الجزريّ

(١) ينظر تجارب السلف، للنخجوانيّ: ٣٤٩.

(٢) ينظر كتاب الحوادث، لمؤلّف مجهول: ١٥٧.

(٣) الخليفة المستعصم بالله وسقوط بغداد: ص «ج، و» من المقدمة.

والذهبيّ وابن كثير والسبكيّ وابن تغري بردي والسيوطيّ وبقية مستنسخي هذه الرواية المختلقة؛ بفارق أنه كان يحدث كثيراً أنْ يبادر المؤرّخ اللاحق إلى التصرف على هواه في تفاصيلها بأنْ يزيد فيها أو ينقص منها. وسنشاهد لاحقاً مثلاً كيف تصرّف المؤرخ ابن تغري برديّ في النصّ الخاص بكلمة «الكرخ».

ثم انطلقت الباحثة خطابي لتعرِّفنا بمصادرها وماذا أخذت من كلّ مصدر؛ وهذا عمل كان ينبغي أنْ تخصّصه أولاً لمصادر الدرجة الأولى، وهي التي كتبها مؤرّخون معاصرون للواقعة التي حدثت سنة ٦٥٦هـ من أمثال مَن سميناهم (مثلث مؤرّخي بغداد الذهبيّ) الذين سنعرِّف بهم بعد قليل أو مَن اقتبسوا منهم، لكنها ذهبت إلى مصادر الدرجة الثانية والثالثة ووو، من أمثال الذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، أو ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، أو ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، أو السيوطيّ (ت ٩١١هـ)، الذين حدثت واقعة إسقاط الخلافة العباسيّة قبل أنْ تلدهم أمهاتهم بكثير، وكانوا يكرّرون رواية واحدة يستنسخها اللاحق من السابق طوال القرون، فضلاً عن تصرّفهم فيها خلافاً للأمانة العلمية.

فمن تعريفها بمصادرها مثلاً، قولها عن ابن كثير: «زوَّدني بعلومات حول تحريضات ابن العلقميّ للمغول»؛ وقولها عن ابن تغري بردي: «تناول معرفة السبب وراء تحريضات ابن العلقميّ للمغول، والسبب وراء كراهية الوزير [ابن العلقميّ] لأهل السنَّة وحقده عليهم»؛ وقولها إنها أخذت من ابن خلدون: «تحريضات ابن العلقميّ للمغول ودوره في الغزو»[(١)].

وعلينا التذكير هنا أنَّ ابن كثير ولَدته أمه سنة ٧٠١هـ، أي بعد ٤٥ سنة من واقعة الغزو المغوليّ للعراق في ٦٥٦هـ؛ وأمّا ابن خلدون فقد وُلد سنة ٧٣٢هـ، أي بعد ٧٦ سنة من الواقعة؛ ووُلِد ابن تغري برديّ سنة ٨١٣هـ، أي بعد ١٥٧ سنة من الواقعة. وجميعهم لم يكونوا معاصرين للغزو المغوليّ للعراق خلافاً لمؤرخي الرواية البغدادية الذين كانوا ببغداد خلال الغزو ورأوا بأعينهم أدقَّ تفاصيله، وهم لم يذكروا أيَّ شيء عن «تحريضات» الوزير وكراهيّته «لأهل السنَّة وحقده عليهم»، وبقية مفردات الرواية الشاميّة/المصريّة التي استندت إليها السيّدة خطابي.

(١) الخليفة المستعصم بالله وسقوط بغداد: ص «ز، ح» من المقدمة.

سـأتوقف قليـلاً لعرض هـذا الأنموذج عن مـدى تلاعب بعض المؤرّخيـن والكتّاب في النصوص التاريخية:

خليفةٌ ضاعَ بين الناي والعودِ

عُـرف عـن الخليفـة المسـتعصم انغماسـه باللهو وحبّـه للطرب والموسـيقى وتكريمه للموسـيقيين والمطربيـن والمطربات هـو أمر معروف ذكرته مصـادر الروايتين. وكان من بينهـم مغنِّيـة تُدعـى لِحـاظ: «كانت تـلازم مجلسَ الغناء عنـد الخليفة المسـتعصم، وكان يعجبه غناؤها»[١]. ولما كان ذا أذن موسيقية لا تُخطئ فهمَ الألحان، فقد غنَّت لِحاظ يوماً بين يديه «بلحن طيِّب غريب»، فسـألها عن ملحِّنه فقالت إنه لمعلِّمها الأُرمويّ، فأرسـل إليـه، وحيـن ضرب على العود وغنَّى أعجبه كثيراً، وأصبحَ «مقرَّباً عنده ومن خواصِّه»[٢]، كمـا جعلـه رئيسـاً لمطربيـه[٣]، وخصَّص لـه راتباً ضخمـاً. وهكـذا كانت دائـرة اهتمامات الخليفـة تـدور بين الموسـيقى وأهل الطرب، فضلاً عن اهتمامـه باللعب بالطيور ومعرفة أنواعهـا وسـلالاتها؛ ولشـدَّة تعلّقـه بالطيـور اتخـذ مـن أحـد السُّـوقة وهـو ابـن الدرنوس – الذي كان ذا معرفة بالطيور وأنواعها وسلالاتها – مستشاراً خاصاً له «يشاوره في الأمور ويعمل برأيه»[٤]، وعَيَّن ابنَ السـيبي بمنصب رفيع؛ لكونه ماهراً في الصعود إلى أسـطح المنازل للَّعب بالحَمَام، وقد وُصفَ بأنه: «كان شـاباً سـرياً لطيف الأخلاق ذا مروءة تامة، وله قرب بسُـدَّة الإمام المسـتعصم بالله بسـبب ترداده إلى سـطوح الحَمَام ومعرفته بأمور الطيور»[٥]؛ ولذا قال الذهبيّ عنه (أي عن المسـتعصم) إنه «كان يلعب بالحَمَام، ويهملُ أمرَ الإسلام»[٦].

(١) مسالك الأبصار: ٣٥٦/١٠.

(٢) الوافـي بالوفيـات، للصفدي: ٢٤٣/١٩؛ وينظر : فوات الوفيات، لابن شـاكر: ٢٦٣/٤؛ الفخريّ، لابن الطِّقْطَقَى: ٣٣٣.

(٣) ينظر تاريخ الموسـيقى العربيّة، لفارمر: ٢٦٨. وهو صفي الدين عبد المؤمن بن يوسـف بن فاخر الأرمويّ.

(٤) كتاب الحوادث: ٤٤٣.

(٥) تلخيص مجمع الآداب، لابن الفوطيّ: ٢٧٤/٤ (ط الكاظم).

(٦) تاريخ الإسلام، للذهبيّ: ٨١٩/١٤، (ط معروف)؛ وفي ٢٦٠/٤٨ (ط تدمري).

وقد انتبهت السيّدة خطابي إلى كون المستعصم لاهياً عابثاً فقالت: «كان رجلاً يهوى المرح، يقضي معظم وقته في سماع المطربين ومشاهدة المهرجين واللعب بالطيور أو مطالعة الكتب، واستولت عليه النساء»[١].

يقول مؤلّف كتاب الحوادث - وهو مصدر أصيل من مصادر الرواية البغدادية - إنّ المغول عندما احتلوا الجانب الغربيّ من بغداد (الكرخ)، ثبّتوا مواضعهم فيه، ثم بدأوا بإطلاق رشقات سهامهم باتجاه الجانب الشرقيّ (الرصافة)، فكانت سهامهم تصل إلى الدور «الشَّطَّانيَّة»، أي الواقعة على الشاطئ الآخر لنهر دجلة - ونعتقد أنّ ذلك كان بهدف إدخال الرعب في قلوب قيادات الدولة والمواطنين - ويقول «وكان الخليفة جالساً في رُواقه وبين يديه صغيرة من مولَّدات العرب تُسمى عَرَفة، كانت مدلَّلة مطبوعة مُضْحِكة، فأصابها سهمٌ دخل من بعض الشبابيك فقتلها، فانزعج الخليفة لذلك»، فأمر الخليفة عندها «بعمل ما يحول بين شبابيك الدار وبين الرماة، فعُمِلَت ستائرُ من ألواح الخشب»[٢].

إذاً، الجارية عَرَفة كانت تلعب بين يدي الخليفة، بل «ترقص بين يدي الخليفة»[٣]، فقتلها سهم ممّا كان الجنود المغول يرمون به عشوائياً الجانب الشرقيّ الذي به قصر الخليفة وغيره.

فجاء السبكيّ الذي وُلِد في القاهرة بعد ٧١ سنة من انتهاء واقعة بغداد إلى هذه الحادثة الشهيرة[٤]، فلم يعجبه أنْ يكون خليفة المسلمين بهذا المستوى العابث، فابتكر من عنده ما يصون به ماء وجهه، فبدلَ القول إنّ الخليفة كان يشاهد وصلة من الرقص الشرقيّ، قال إنّ الخليفة كان يقرأ القرآن (!!)، وألغى كون التي بين يديه جارية ترقص، وادَّعى أنها إحدى بناته: «ولقد حُكِيَ أنَّ الخليفة كان قاعداً يقرأ القرآن وقتَ الإحاطة

(١) الخليفة المستعصم بالله وسقوط بغداد : ١٥.

(٢) كتاب الحوادث: ٣٥٥.

(٣) كما قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٣٥٧/١٧، ولا بدَّ أنْ يكون اقتبسها من الرواية البغدادية.

(٤) وَرَدَ خبر هذه الواقعة أيضاً لدى آخرين من كتّاب الرواية الشاميّة/المصريّة، مثل: ابن شاكر في عيون التواريخ: ١٣٣/٢٠؛ والعينيّ في عقد الجمان: ١٧١/١، نقلاً من ابن كثير.

بسور بغداد، فرمى شخصٌ من التتار بسهم فدخل من شرفات المكان الذي كان فيه، وكانت واحدة من بناته بين يديه، فأصابها السهمُ فوقعت ميتة»[١].

ولم تقف التعديلات في واقعة مقتل الراقصة عند ذلك الحدّ، وما دام المتقدّمون يبتكرون فلماذا لا يبتكر المتأخرون؟ إذ حدث فيها تطوّر حتى في القرن العشرين الميلاديّ، حين صان الكاتبُ المعاصر عبد عون الروضان شخصَ الخليفة عن الملامة، فحوَّل الراقصةَ إلى طفلٍ رضيعٍ، وكتبَ يقول: «لم يكن لدى الخليفة ما يدفع به ذلك السيل [المغولي] الجارف، واكتفى بإقفال الأبواب، ويُقال إنه كان له طفل رضيع، فمَرَقَ سهمٌ من سهام جند هُولاگُو إلى الغرفة التي كان بها الرضيع، فخافَ عليه المستعصم وأمر النجَّارين بإغلاق النوافذ بألواح الخشب»[٢]. وقصة الطفل الرضيع غير موجودة إطلاقاً في أيّ مصدر تاريخيّ وإنما هي من ابتكارات هذا الكاتب.

ثم جاءت السيّدة خطابي لتقول: «ويذكر ابن كثير أنه قد أُصيبت جارية بسهم داخل القصر – وكانت بين يدي الخليفة – فماتت...»[٣]. لكننا حين راجعنا ابن كثير وجدناه يقول: «وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنُّشَّاب من كلّ جانب، حتى أُصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة الحظايا، وكانت مولَّدة تسمَّى عَرَفة، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك، وفزع...»[٤].

وبذلك تكون السيِّدة خطابي آخر مَن تصرَّف بالنصّ الخاص بهذه الواقعة فبَتَرَتْه بأنْ اكتفت بالقول إنها كانت جارية فقط؛ ولم تقل إنها قُتِلَت وهي «ترقص بين يدي الخليفة»، وكانت الأمانة العلمية تقتضي أنْ تورد النصّ الذي بين يديها بلا حذف ما دامت قد نسبته إلى هذا المؤرّخ.

(١) طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي: ٢٧٢/٨.

(٢) انظر: المستعصم بالله العباسي، لابن جنيد: ١٨٧، نقلًا من موسوعة تاريخ العرب للروضان (١٩٣٩ – ٢٠١٦م).

(٣) الخليفة المستعصم بالله وسقوط بغداد: ١٥.

(٤) البداية والنهاية: ٣٥٧/١٧.

مثلث مؤرِّخي بغداد الذهبيّ

سنعرِّف الآن بالمؤرخين البغداديّين الثلاثة الذين دأبتُ على تسميتهم في كتاباتي بـ «مثلث مؤرِّخي بغداد الذهبيّ»: ابن الساعي، وابن الكازرونيّ، وابن الفوطيّ الذين وُلدوا ببغداد وعاشوا فيها في ظل الحكم العباسيّ؛ وكانوا فيها عندما اقتحمها المغول وشهدوا بأعينهم ما فعله أولئك الغزاة القُساة؛ وعاشوا فيها في ظلّ الحكومة التي شكَّلها المغول ببغداد؛ وأخيراً ماتوا فيها واحتضن أجسادَهم ثراها الطيّب. فهل يمكن لأحد أنْ يجد أفضل من شهود العيان هؤلاء ليسألهم عن تفاصيل ما حدث في تلك الواقعة المهولة؟

إنّ كتابات هؤلاء الثلاثة هي ما اصطلحنا على تسميته في كتاباتنا باسم «الرواية البغدادية لواقعة الغزو المغوليّ للعراق»، تمييزاً لها عن الرواية الشاميّة/المصريّة التي كتبها مؤرّخون متأخّرون عن الواقعة زمانياً ومكانياً، والعجيب أنه كان يحدث أحياناً أنْ تكون نصوص هذه الرواية الأصيلة متوافرة لدى أحد المؤرّخين الشاميّين/المصريّين كالذهبيّ وابن كثير، لكنهم يهملونها ويواصلون نقل الرواية الخاصة بهم، فهذان الاثنان (الذهبيّ وابن كثير) مثلاً كانت لديهما نصوص الرواية البغدادية غير أنهما أصرَّا على كتابة الرواية المختلقة؛ لأنها تتفق مع توجُّهات أستاذهما ابن تيمية الذي كانا يبجِّلانه ويلتزمان بما يقوله ويكتبه.

نقدِّم هذا الملخّص عن حياة هؤلاء المؤرخين البغداديين الذين ظلمهم كثيرٌ من الباحثين – ومنهم الباحثة زينب خطابي وأساتذتها – حين أهملوا كتاباتهم التي تمثِّل قمَّة الوثاقة بشأن الواقعة:

١. عليّ بن أنجب بن عبد الله المعروف بابن الساعي البغداديّ الشافعيّ (٥٩٣ – ٦٧٤هـ): اشتُهر بالتدوين التاريخيّ وعاش في بيئة أعانته الوظائف التي شغلها فيها على صقل عقليّته التاريخيّة؛ إذ كان خازناً لكتب المدرستين البغداديّتين النظاميّة والمستنصريّة[1]، فأفاد ممّا في رفوفهما من مصادر ومصادر مكتبات أُخر ربما تحوَّل بعضها إلى رماد عقب الغزو المغوليّ، هذا فضلاً عمّا رآه هو رأي العين وعايشه

(١) ينظر: منتخَب المختار المذَيَّل به على تاريخ ابن النجار لابن رافع السلامي (انتخاب الفاسي): ١٣٨؛ تذكرة الحفاظ للذهبيّ: ١٤٦٩/٤، تاريخ الإسلام: ١٦١/٥٠.

شخصياً. وكان مكثراً من التأليف، وقد أورد ابن الكازرونيّ في ترجمته «أسماءَ التصانيف التي صنَّفها، وهي كثيرة جداً لعلها وِقْرُ بعير»[١].

وتكمن أهمّيته في كونه قد عايش الوقائع معايشةً شخصيةً وأرَّخها بأدق تفاصيلها، ورافق صانعيها أو كان قريباً منهم، وكان على علاقة طيّبة بالعباسيّين، وله في مناقبهم ومناسباتهم مؤلّفات أهداها لهم فأكرموه[٢]. وأتاحت له صِلاته الطيّبة بالقيادات العليا العاملة مع الخليفة من مدنيّين وعسكريّين[٣] أنْ يحصل على الأخبار من مراكز القرار في الدولة، وكان من دأبه أنْ يسأل المشاهير أنْ يوافوه بما لديهم من معلومات عن أنفسهم[٤]، وكانت له صلة بقائد الجيش المعروف إقبال الشرابيّ، وكذلك بآخر قادة الجيش العباسيّ الدويدار الصغير[٥]، كما كان يحضر مجلس الوزير ابن العلقميّ[٦]. توفّي في بغداد ودُفن بمقبرة الشونيزيّ[٧].

وأشهر مؤلّفاته الجامع المختصر في عنوان التواريخ والسير، ذُكِر أنه «تاريخ كبير في نحو ٢٥ مجلداً بلغ فيه إلى آخر سنة ٦٥٦هـ»[٨]، وسار واشتُهر في الآفاق حتى إنه كانت توجد نسخة منه في تونس سنة ٦٨٥هـ لدى ابن سعيد المغربيّ[٩]. عُثِرَ على الجزء التاسع منه فحسب فحُقِّق وطُبِع. وتوجد كثيرٌ من نصوصه الخاصّة بواقعة بغداد متفرَّقة في الكتب، ومنها الكتاب المسمّى بالحوادث، وفي العسجد المسبوك للأشرف الغسانيّ، وكتابات ابن الفوطيّ وغيرهم.

(١) تاريخ الإسلام: ١٦٢/٥٠؛ وينظر طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة: ١٨٠/٢. وِقْرُ بعير: حِمْلُ بعير.
(٢) ينظر تاريخ الإسلام: ١٦١/٥٠ – ١٦٢.
(٣) ينظر مثلًا: الدر الثمين ، لابن الساعي: ١٥٧.
(٤) ينظر مثلًا: الأصيلي، لابن الطقطقى: ١٣٢، ١٧٢، ٢٧٤.
(٥) ينظر : تاريخ الإسلام: ٥٠/ ١٦٢؛ الوافي بالوفيات: ١٥٩/٢٠.
(٦) البداية والنهاية: ٣٣٩/١٧ (ط التركي).
(٧) ينظر المقتفي، للبرزاليّ: ٤٨٦/١، الشونيزيّ أو الشونيزيّة: «مقبرة ببغداد بالجانب الغربيّ» (معجم البلدان لياقوت الحمويّ: ٣٣٨/٣، تُسمى اليوم مقبرة الشيخ جنيد (دليل خارطة بغداد المفصل، لجواد وسوسة: ٨٩).
(٨) كشف الظنون، لحاجي خليفة: ١٩٠/٣.
(٩) أفاد منه في كتابه الغصون اليانعة، لعليّ بن موسى المغربيّ (ينظر مثلًا الصفحات: ٥، ٨٣، ٨٩).

٢. ظهير الدين عليّ بن محمد بن محمود البغداديّ، ابن الكازرونيّ الشافعيّ (٦١١ – ٦٩٧هـ): وُلِدَ ببغداد[١] وهو مؤرِّخها، وكان موظَّفاً في ديوان الخلافة. ألَّف تاريخاً ذيَّلَ به على تاريخ ابن الساعي[٢]، وعُرِف لدى اللاحقين أنه «ممّن حضر الوَقْعَة»[٣]. قال حاجي خليفة عن تاريخه: «روضة الأريب في التاريخ أي تاريخ بغداد وهي سبعة وعشرين [كذا] سِفْراً»[٤].

عُثر على أحد تآليفه – وهو مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس – فطُبع، وقد حوى معلومات فريدة عن غزو المغول للعراق. توفّي في بغداد[٥]، ودُفن فيها. كما وُجد كثيرٌ من نصوص كتاباته الخاصّة بواقعة بغداد متفرِّقة في المصادر التي اقتبست من مؤلّفاته.

٣. عبد الرزاق بن أحمد بن محمد المعروف بابن الفُوَطيّ الشيبانيّ البغداديّ الحنبليّ (٦٤٢ – ٧٢٣هـ): وهو أهمّ أركان هذا المثلث الذهبيّ؛ ذلك أنه انتفع بما اقتبسه من شيخيه ابن الساعي وابن الكازرونيّ؛ إذ سمع منهما وهو يذكرهما بـ«شيخنا تاج الدين عليّ بن أنجب الخازن»، و«شيخنا العدل ظهير الدين ...»، و«شيخنا ظهير الدين الكازرونيّ»[٦]، وأفرطَ في النقل من تآليفهما – وحَسَناً فَعَلَ – فضلًا عمّا زاده هو من معلومات ممّا عايشه شخصياً، وما نقله من المصادر التي حوتها رفوف المكتبات الضخمة التي زارها أو عمل فيها موظَّفاً.

ترجَمَه الذهبيُّ مطوَّلاً وسمَّاه «الإمامَ المؤرخَ العلاَّمة»، و«مؤرخ العراق»، و«مؤرخ الآفاق، مفخر أهل العراق»، وقال عنه: «أُسر في كائنة بغداد مراهِقاً فحصَل في يد النصير الطوسيّ، واشتغل عليه في تلك العلوم الفلسفية وبرع فيها وفي الأدب واللغة

(١) ينظر مقدمة مختصر التاريخ، لابن الكازروني، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد: ٥.
(٢) ينظر طبقات الشافعية: ١٧٣/٢، ٢٤٠.
(٣) النجوم الزواهر ، لابن اللبودي: ٩٠. الوَقْعَة: واقعة الغزو المغولي للعراق.
(٤) كشف الظنون: ٢٣٩/٤.
(٥) ينظركتاب الحوادث: ٥٣٦.
(٦) ينظر: تلخيص مجمع الآداب: ٧٤/١، ٣٤٤/٢، ٣٦٨، ٥٢٣/٣، (ط الكاظم)؛ ذيل تاريخ الإسلام للذهبيّ: ٢٥٧.

والنظم والصرف؛ فاق علماءَ الآفاق في علم التاريخ وأيام الناس...»[١]. توفّي ببغداد ودُفن في الشونيزيّة منها[٢].

كان ابن الفوطيّ في الرابعة عشرة من عمره ببغداد خلال هجوم هُولاگُو عليها في ٦٥٦هـ، وأَسرَه المغول هو وشقيقه عبد الوهاب، وبقي أسيراً لديهم حتى ٦٥٩هـ، عندما هرب من الأسر[٣].

وكانت له صلة وثيقة بحاكم العراق المعيَّن من قِبل المغول الأديب والمؤرّخ علاء الدين عطا ملك الجويني مؤلّف تاريخ جهانگشا، ويسميه «شيخنا الصاحب السعيد علاء الدين»، وقال عنه: «هو الذي أعادني إلى مدينة السلام، وفوَّضَ إليَّ كتاب[٤] التاريخ والحوادث...»[٥]. وأصبحت له صلة بعالم الرياضيات والفَلك نصير الدين الطوسي عقب احتلال بغداد فدرس عليه، وهو الذي عيَّنه مشرفاً على خزانة الكتب التي أنشأها بمرصد مراغة و«اطَّلع على أسرارها»[٦]، وكانت تضمّ نفائس المخطوطات وبعضها ممّا سلم من التلف والحرق خلال غزو بغداد ونَقَلَهُ نصيرُ الدين إلى هناك[٧]. وكانت له صلة وثيقة بالوزير والمؤرّخ رشيد الدين الهمذانيّ وببعض أفراد أسرته وكان يجلُّه كثيراً، حيث ذكر أنه قام في مدينة بغداد بمقابلة نسخة من كتابه جامع التواريخ مع أحد العلماء[٨].

وكانت له صلة بزكريا القزوينيّ القاضي لدى الخليفة المستعصم والمعاصر لوقائع

(١) المعجم المختص للذهبي: ١٤٤ – ١٤٥، وينظر: ذيل تاريخ الإسلام له أيضاً: ٢٥٥ – ٢٥٨، تاريخ الإسلام للذهبي: ٨١/٥١، ١٨٩/٥٢.

(٢) ينظر البداية والنهاية: ٢٢٨/١٨.

(٣) ينظر تلخيص مجمع الآداب: ٤(٣)/٣٢٥، الترجمة ٢٣٥٤ (ط جواد)؛ ١٣٩/٣ (ط الكاظم).

(٤) يبدو أن الصواب هو: كتابة.

(٥) تلخيص مجمع الآداب: ٤(٢)/٩٠٣، الترجمة ١٣٤٥ (ط جواد)، وفي ٢١١/٢ (ط الكاظم، ٤(٢)/١٠٣٥، الترجمة ١٥٣٧ (ط جواد).

(٦) على حدّ تعبير ابن حبيب في تذكرة النبيه: ١٣٩/٢، حوادث ٧٢٣هـ.

(٧) ينظر الوافي بالوفيات: ١٤٧/١.

(٨) ينظر تلخيص مجمع الآداب: ٤(١)/٩٢، ٤(٢)/٧٢٠، الترجمتان ١٠٣، ١٠٤٣ (ط جواد)، ٢٦٤/٤، الترجمة ٣٨١٤ (ط الكاظم).

الغـزو المغولـيّ للعـراق، وكان القزوينـيّ شـيخاً لـه[١]. كما كان علـى صلة وثيقـة بالمؤرّخ والأديـب والنقيـب ابن الطقطقى صاحب كتاب الفخريّ، وكان ابن الطقطقى يروي عنه[٢].

ولـه صِـلات أُخر بشـخصيات مُهمّة من رجال الحكم وأصحـاب القرار من العاملين في الدولتين العباسـيّة والمغوليّة؛ ممّا مكَّنه من التعرُّف إلى أسـرار كثيرة أدرجها في مطاوي مؤلّفاتـه، فضـلاً عن كونه شـاهدَ عيـانٍ على وقائع الغـزو المغوليّ. كما وقعـت بين يديه مجاميـع هائلـة مـن المصادر ضاع أغلبها، قـال الذهبيّ: «خَزَنَ كتب الرَّصد[٣] بضع عشـرة سـنة، فظفـر بكتـب نفيسـة وحصل مـن التواريخ مـا لا مزيد عليه. ثمّ سـكن بعـد مراغة بغـدادَ وولـيَ خزنَ كتب [المدرسـة] المسـتنصريّة، فبقـي عليها والياً إلـى أنْ مات. وليس فـي البـلاد أكثـر من كتب هاتيـن الخزانتين، وعمل تاريخـاً كبيراً لم يبيِّضـه. ثم عمل آخر دوَّنه في خمسـين مجلداً سـمَّاه مجمع الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب»[٤].

وكتابـه الأخيـر هـذا هو الذي عُثر علـى قطعتين مختصرتين منـه فطُبعتا، وعلى صغر هاتيـن القطعتيـن – قياسـاً للكتـاب الأصـل الذي كان في خمسـين مجلَّداً – فـإنّ المعثور عليه منه فيه من الفوائد والمعلومات الفريدة ممّا لا يوجد في كثير من الكتب التاريخية ذات المجلدات الضخام.

أخيـراً تجـدر الإشـارة إلـى أنّ مـا فُقـد من آثـار هـؤلاء الثلاثة وُجـد بعضه متناثـراً في مؤلّفات مؤرّخين متأخّرين من أمثال المؤلّف المجهول لكتاب الحوادث، أو رشـيد الدين في جامع التواريخ، أو الأشـرف الغسـانيّ في العسـجد المسـبوك وغيرهم.

مزايا كتابات أركان المثلث الذهبيّ

خلال مراجعتنا المتفحِّصة والمتكررة للمعثور عليه من مؤلّفات من أسـميناهم أركان المثلـث الذهبيّ هؤلاء، لاحظنا الثوابت الآتية فيما كتبوه:

(١) ينظـر تلخيـص مجمـع الآداب: ٢٦١/٤، ٤٧٠، ٣٧٢/٥ (ط الكاظـم)، وهـو مؤلّـف كتـاب آثار البلاد وأخبار العبـاد وغيره.

(٢) ينظر: تلخيص مجمع الآداب: ٤(١)/٥٩، ١٢٩، ٢٠٦، ٣٩٣، ٥١٥، ٦٠٤ (ط جواد)؛ الأصيلي: ١٠٣.

(٣) هو المرصد الفلكيّ الشـهير الذي أنشـأه نصير الدين الطوسـيّ بدعم من هُولاكُو في مدينة مراغة الإيرانية.

(٤) تذكرة الحفاظ: ١٤٩٣/٤.

١. كانوا من أتباع المذاهب السُّنِّية، (اثنان منهم شافعيّان والثالث حنبليّ)، وبذلك لن يعترض معترض باحتمال كونهم متحاملين على الخليفة أو الخلافة العباسيّة. وهذا يُقْنع مَن يشترطون معرفة مذهب المؤرّخ في التوثيق، فإنْ كان على مذهب لا يرتضونه رفضوا النقل منه.

٢. معايشتهم لوقائع الغزو المغوليّ ورأيهم رأي العين تفاصيله المأساويّة.

٣. استفادتهم إلى أبعد مدى من خزائن المكتبات التي زخرت بها بغداد وبقية المدن والبلدان، ويكفي أنْ نشير إلى خزانة مكتبة المدرسة المستنصريّة ببغداد التي وصفها ابن الفوطيّ – وهو الخبير بها – بقوله: «لم يوجد مثلها في العالَم»[(١)]. وكان ابن الساعي وابن الفوطيّ يشتغلان خازنينِ في هذه المكتبة أعواماً من حياتيهما.

٤. لم نجد في المعثور عليه من كتاباتهم ما يشير إلى شيء من التعصب المذهبيّ لدى أيٍّ منهم أو التحامل على أيِّ مذهبٍ من المذاهب التي كانت موجودة آنذاك. ويمكن أنْ تكون سعة آفاقهم الفكريّة والثقافيّة ومخالطتهم شتى طبقات المجتمع والمصير المأساويّ لمدينتهم وما جاورها، فضلاً عمّا شاهدوه من أهوال حلَّت بمواطنيهم وأحبَّائهم من شتى المذاهب من كوارث وفظائع بشعة، كلّ ذلك جعل نظرتهم إلى الأمور نظرة إنسانية تتسامى فوق العصبيات المذهبيّة الضيقة والمدمِّرة.

٥. كان الثلاثة يحبُّون الأسرة العباسيّة ويبجِّلون خلفاءها، وظلُّوا أوفياء لذكرى هذه الأسرة ويترحَّمون على خلفائها ومنهم المستعصم الذي كانوا يذكرونه بـ «الشهيد» و«قَدَّس اللهُ روحَه» وأمثال ذلك من عبارات الإجلال.

فضلاً عن عدم اطِّلاع السيّدة خطَّابي على كتابات هؤلاء المؤرّخين الثلاثة، فإنها لم تطَّلع على المصدر الخطير المسمّى كتاب الحوادث المجهول المؤلّف الذي احتُمل يوماً أنه من مصنّفات ابن الفوطيّ، لكن ثبت فيما بعد بطلان هذا الاحتمال[(٢)]، فهذا الكتاب حفظ لنا نصوصاً مُهمّة من كتابات ابن الساعي في مواضع كثيرة منه، لكنه لم يصرِّح

(١) تلخيص مجمع الآداب: ٤(٤)/٦٣٣، الترجمة ١٧٧٦ (ط جواد)، ٣٧٥/٣ (ط الكاظم).

(٢) في مقدمتهما لتحقيقهما هذا الكتاب: ٨ – ١٠، عرَضَ الدكتوران معروف ورؤوف بتفصيل مسألة المؤلّف المحتمل لهذا الكتاب وبأدلة مقنعة.

باسمه إلاَّ قليلاً[١]؛ كما نقل من كتابات ابن الكازرونيّ، وكان بين يديه نسخة من تاريخه بخطِّ ابن الكازرونيّ نفسه كما ذكرنا؛ ولذا فإنّ عدم معرفتنا مؤلِّفَه لا تغضُّ من قيمته العلمية شيئاً.

وهي لم تعرف بوجود كتاب العسجد المسبوك للأشرف الغسانيّ (٧٦١ – ٨٠٣هـ)، الذي امتاز بكثرة نقوله من مؤلّفات ابن الساعي[٢]، وخصوصاً في الحوادث التي تلت سنة ٦٣٠ حتى ٦٥٦هـ، ولا شكّ في أنّ رواياته المنقولة منه أصيلة، فقد أوردَ في ترجمة الوزير ابن العلقميّ مثلاً الرواية البغداديّة الأصيلة التي أشادت بأمانة هذا الوزير وأدبه وكفاءته الإدارية وعدم ظلمه للناس، ثم أعقبَها بالرواية المختلقة التي تنال منه، وإنَّ روايته الثانية تتطابق حرفياً ونصوص المؤرّخين الشاميّين/المصريّين وخصوصاً اليونينيّ والذهبيّ وغيرهما حتى في كثير من ألفاظها[٣]. ويمكن أنْ تكون الرواية الثانية من زيادات أحد النُّسَّاخ، أو أنَّ الغسانيّ نفسه نسيَ أنه كتب الروايةَ الأولى، فنقل الرواية الثانية المختلَقة من أحد مصادرها الكثيرة.

وفي الوقت الذي استندت فيه السيّدة خطابي إلى ابن العبريّ في كتابه تاريخ مختصر الدول – وهو مصدر أصيل من مصادر الرواية البغداديّة – فإنها لم تستفد من كتابه الآخر تاريخ الزمان الذي اشتمل على نصوص مُهمة بعضها غير موجود في المختصر، وللكتاب ترجمتان متوفراتان في المكتبات.

مثال على التحريف المتعمَّد لدى بعض المؤرّخين: نقطة الخاء

كانت البداية عند اليونينيّ البعلبكيّ الذي قال وهو يتحدّث عن القائد المغوليّ بايجو نويان: «وتوجَّه التتر إلى العراق، وجاء بايجو نوين في جحفلٍ عظيم وفيه خلقٌ

(١) ينظر مثلًا التصريح باسمه: كتاب الحوادث: ٢٩٦، ٣٠٣.

(٢) ينظر: مقدمة الدكتور شاكر محمود عبد المنعم لكتاب العسجد المسبوك، للأشرف الغسانيّ: ١١٨ – ١٢٢؛ العراق في عهد المغول الإيلخانيين، للدكتور خصباك، المقدمة: ز .

(٣) قارن مثلًا ما ورد لديه في ص ٦٢٥ بشأن استباحة الكرخ سنة ٦٥٤هـ، بما ورد لدى الذهبيّ عنها في تاريخ الإسلام: ٦٧١/١٤ (ط معروف)؛ وابن واصل في مفرج الكروب: ٢١٤/٦؛ واليونينيّ في ذيل مرآة الزمان: ١٢٣/١؛ وابن شاكر في عيون التواريخ: ١٣١/٢٠؛ وأبي الفداء في المختصر في أخبار البشر: ١٩٣/٣.

مـن الكَرْخ ومن عسـكر بِرْكـة خان ابن عـم هُولاگُو»[١].

وجاء الذهبيّ فنقله وقال: «وفي جيشه خلقٌ من الكَرْخ»[٢] بالخاء أيضاً.

ولمَّـا كان أهـل الكرخ شـيعة إمامية أو «رافضة» كما ينبزهـم مناوئوهم، فقد جاء ابن تغـري بـرديّ (٨١٣ – ٨٧٤هـ)، بعـد مـا يزيد على ٢٠٠ سـنة على هـذه الواقعة فوجد بين يديه النصّ:

«وفي جيشه خلقٌ من الكَرْخ».

فبادر إلى وضع كلمة «أهل» قبلَ «الكَرْخ»، وكلمة «الرافضة» بعدها، لتصبح:

«وفي جيشه خلقٌ من أهل الكَرْخ الرافضة»[٣].

والحقيقـة فإنّ سـبب هذه الكارثـة التي ورَّطت المتقدّميـن والمتأخّرين هو خطأ من أحد نُسَّـاخ مخطوطة كتاب ذيل مرآة الزمان حين كتب «الكَرْخ» بدلَ «الكُرْج»[٤]. والكُرْج هـم الجورجيّـون النصـارى سـكان جورجيـا الحاليـة الذين يسـمَّون الكُـرْج قديمـاً، وكانوا حلفـاء المغـول وجاء جيشٌ منهم بقيادة ملكهم داود[٥] مـع القائد المغوليّ بايجو نويان، وهاجمـوا الجانـب الغربـيّ مـن بغـداد وهو الكـرخ، وقَتَلوا سـكّانه، وسـاهموا مسـاهمة فعَّالـة فـي الهجـوم على بغداد، يقول المـؤرّخ الأرمنيّ كيراكوز الجنـزويّ: «كان في قوات هُولاگُو التي اشـتركت في فتح بغداد كتيبةٌ من الجُورجيّين»[٦]؛ ويقول أبو حامد القدسـيّ الشـافعيّ (٨١٩ – ٨٨٨هـ) إن هُولاگُـو «قَصَدَ بغدادَ بجيوشِـهِ والكُـرْجِ والموصلِ»[٧].

(١) ذيل مرآة الزمان: ٨٧/١ – ٨٨. بحسب طبعة حيدر آباد المتداولة آنذاك.

(٢) تاريخ الإسلام: ٣٥/٤٨، طبعة الدكتور عمر تدمري. حيث سها عنها قلمُ هذا المحقق الفاضل.

(٣) النجوم الزاهرة لابن تغري برديّ: ٤٩/٧.

(٤) ذيـل مـرآة الزمـان: ٨٧/١ – ٨٨، ط حيـدر آبـاد. وقـد عُـرِفَ الكرج هؤلاء بشـنِّهم الغـارات على المدن والقـرى الإسـلامية للقتـل والنهـب. (ينظـر الجامع المختصـر، لابن السـاعي: ١٥١/٩، حوادث سـنة ٦٠١هـ).

(٥) ينظر زبدة الفكرة، لبيبرس المنصوري الدوادار: ٣٥.

(٦) العـراق فـي عهـد المغـول الإيلخانيين: ٥٥؛ وينظر: تاريخ فتوحات مغول ، لسـاندرز (كان أسـتاذاً للتاريـخ فـي جامعـة كنتربـري (بريطانيا)): ١١١؛ أحـوال النصارى، لفييـه: ٣٨٠. والمؤرخ كيراكوز معاصـر للوقائع حيث توفّي سـنة ٦٧١هـ/١٢٧٢م.

(٧) دول الإسلام الشريفة البهيّة، لأبي حامد المقدسيّ: ٢٨. وقوله «الموصل»، أي الجيش الذي أرسله حاكمهـا بـدر الديـن لؤلـؤ مـدداً لهُولاگُـو؛ وتقدير الجملـة: قَصَدَ بغـدادَ بجيوشِـهِ وجيـوشِ الكُرْجِ

إذاً، فكلمة «الكرخ» هنا هي مغلوطة، لكن تعالوا وانظروا ماذا فعل التعصُّب؟:

لقد بلغ الأمر من انعدام المسؤولية لدى بعض الكتَّاب في الاستناد إلى هذا الغلط حدّاً أنْ يقول باحث معاصر عن موقف الشيعة إزاء الغزو المغوليّ للعراق: «كان موقف هؤلاء إزاء تلك الكارثة الرهيبة من أسوأ المواقف التي وقفتها إحدى الطوائف في أية أُمَّة عبر التاريخ»[١]. ولما كنّا نعلم يقيناً أنّ أهل الكَرْخ كانوا شيعة ووقفوا ذلك الموقف الذي وصفه السيّد الفاضل بـ«الموقف الشاذ»، فقد أدى ذلك إلى أنْ ترتفع أصوات الإدانة لأولئك «الكَرْخيين» الشيعة الذين أعانوا (!!) الغزاة على إخوانهم في الدِّين والمواطنة.

وهكذا ظُلم أهل الكرخ حين أُلْصِقَ بهم أولئك المؤرّخون الغافلون أو المتعمِّدون تلك التهمة الخطيرة التي لا تجد ما يؤيِّدها سوى وضع نقطة واحدة فقط في غير موضعها.

أمّا الكرخ فقد وصفَه المحدِّث والمؤرّخ ابن باطيش الموصليّ الشافعيّ الذي عاش ببغداد مدةً إبّان تلك الحقبة[٢] بقوله «إحدى المحالّ العربية، يوُصَف أهلُها باللطف والرِّقَّة في الطباع؛ وهي مشهورة بسكنى الشيعة»[٣]، وكان ياقوت قد قال قبل هذا التاريخ بقليل: «وأهل الكرخ كلّهم شيعة إمامية لا يوجد فيهم سُنِّي البَتَّة»[٤]. وقد «أُنشئت (المحلة) غربي بغداد في العهد العباسيّ حتى أُخذ يُعرف غربيُّ بغداد كلُّه باسم الكرخ في الزمن الأخير»[٥]، وظلَّت منذ تأسيس بغداد مزدحمةً جداً بالتجار وأموالهم وتجاراتهم، قال مسكويه: «هي مجمع الشيعة ومعظم التجار»[٦].

والموصلِ. عن الدور المدمر لبدر الدين لؤلؤ في إسقاط الخلافة العباسية، ينظر مقالنا المعنون «الخنجر اللؤلؤي في الخاصرة العباسيّة» المنشور في مجلة أوراق مجمعية، العدد ٣، السنة ٦، تشرين الأول، ٢٠٢١م.

(١) هو الدكتور مصطفى طه بدر في كتابه: زوال الخلافة العباسية: ١٥٤، الذي أُعيد طبعه لاحقاً تحت عنوان محنة الإسلام الكبرى: ١٩٢.

(٢) ينظر صلة التكملة للحسيني: ٣٥٢/١.

(٣) التمييز والفصل، لابن باطيش: ٤٣١/١.

(٤) معجم البلدان: ٢٥٥/٤، مادة «كرخ بغداد».

(٥) دليل خارطة بغداد المفصَّل: ١١.

(٦) تجارب الأمم، لمسكويه: ٣٥١/٦؛ وينظر الكامل في التاريخ، لابن الأثير: ٦١٩/٨.

فصواب النصّ إذاً هو: «جحفل عظيم ومعه خلقٌ من الكُرْج»، بالجيم. والكلمة بشكلها الصحيح «الكُرْج» لدى المؤرّخ ابن واصل الشافعيّ (٦٠٤ – ٦٩٧هـ)[١]، الذي دأب اليونينيّ على النقل منه[٢]. وإنّ كل هذا التشهير بأهل الكَرْخ الشيعة الإمامية واللعنات التي صبَّها حشدٌ من المؤرّخين القدماء والمعاصرين على رؤوسهم وعلى المذهب الذي ينتمون إليه، قائمٌ على وضع نقطة واحدة في غير موضعها، نقطة ظلَّ أثرها السيِّئ يثير الضغائن في بعض النفوس طوال قرون:

فبسبب هذه النقطة بدأت هذه الإشاعة ضدّ أبناء الكَرْخ الشيعة الإمامية وانتشرت حتى في كتابات المستشرقين، بحيث أصبح القرّاء والكُتَّاب وكلّ الخائضين في موضوع الغزو المغوليّ للعالم الإسلاميّ مشحونين مسبقاً بالبغض والكراهية ضدّ الشيعة الإمامية الذين يوصمون عادة بوصمة «الرافضة»، وخصوصاً في كتابات الحنابلة أمثال ابن تيمية وتلاميذه كشمس الدين الذهبيّ وابن كثير وغيرهما. إذ كان ابن تيمية يعلن أنّ الشيعة: «يستعينون بالكفّار على المسلمين كما جرى لجنكز خان ملك الترك الكفّار، فإنّ الرافضة أعانته على المسلمين. وأمّا إعانتهم لهُولاكُو ابن ابنِه لما جاء إلى خراسان والعراق والشام فهذا أظهر وأشهر من أنْ يخفى على أحد، فكانوا بالعراق وخراسان من أعظم أنصاره باطناً وظاهراً»[٣].

وابن تيمية جاهل بالتاريخ المغوليّ؛ إذ لم يرد في أي مصدر أنّ جنكيز خان استعان بالشيعة على غزو البلاد الإسلامية. أما التهمة الثانية من أنهم أعانوا هُولاكُو فسوف نناقشها في بحثنا هذا.

وإذا أخذنا السيّدة خطابي نجدها معبَّأة بكراهية وغضب شديدين ضدّ الشخص الثاني بعد المستعصم في أطروحتها أي الوزير ابن العلقميّ ممّا نقلناه آنفاً. ويبدو أنه كان لكتاب الدكتور المشهداني[٤] – الذي استندت إليه كثيراً – الأثر الأول في إثارة تلكم الكراهية

(١) ينظر مفرج الكروب: ٢١٥/٦. وهو من تحقيق الدكتور تدمري.

(٢) ينظر مثلًا: ذيل مرآة الزمان: ٢٥٦/١، ط حيدر آباد.

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، للذهبيّ: ٣٢٥.

(٤) هو الدكتور محمد جاسم المشهدانيّ وكتابه هو «في محكمة التاريخ: ابن العلقميّ والطوسيّ»، ألّفه سنة ١٩٩٠م.

العاصفة بسبب رواية لا يمكن أنْ تثبت في مواجهة البحث العلقميّ الدقيق، وهي أسطورة حفر الرسائل التي حفرها الوزير حفْراً على جمجمتي أخيه وغلامه كما سنرى.

إنّ الغلطَ في «الكرخ» و«الكرج»، وصل أخيراً إلى الباحث هنري هوورث (H. Howorth)، فأورده في كتابه تاريخ المغول (History of the Mongols)، الذي صدر في ٤ مجلدات خلال السنوات ١٨٧٦ – ١٨٨٨، ووصفه الأستاذ ساندرز بأنه «أكثر الكتب إثارةً للخيبة، أو في الأقل أكثرها إزعاجاً في عالم التدوين التاريخيّ. كان هوورث رجلاً دؤوباً في عمله، وكان ذا قدرة عالية في البحث في الآثار الآسيوية القديمة، لكنه لم يكن يعرف أية لغة من لغات آسيا، وكان كتابه مجموعاً ضخماً استند فيه إلى مصادر ثانوية لم يبذل جهداً نقدياً لتحديد الغثّ من السمين فيها»[١]. وقد قرَنه الحُجَّة في التاريخ المغوليّ بوريس فلاديميرتسوف مع كاتب آخر (هو غروم كرغيمايلو)، وقال: «ينبغي الرجوع إلى أعمالهما مع الحيطة والحذر، ذلك أنّ هذه المجموعة من المؤلّفين ممّن لا يعرفون اللغات الشرقية، لا يوجد في أغلب المصادر التي يستندون إليها تحليل علميّ، ولذا هم يكتفون بالترجمات»[٢].

ثم جاء الصحفيُّ البريطانيّ ريتشارد كوك الذي كان يجهل اللغات الشرقية أيضاً، فاستند بالدرجة إلى كتاب هوورث فقال في مقدّمة كتابه: «ورجعتُ في البحث عن عهد المغول بالدرجة الأولى إلى كتاب السَّر هنري هوورث الموسوم بتاريخ المغول»[٣]، وأقام عليه آراءه في موقف هذه الطائفة من اجتياح المغول لبغداد فقال: «ولم يشارك شيعةُ الكرخِ أهلَ المدينة الشرقية في الدفاع عنها، وبقوا في المؤخرة يعاونون الغُزاة»[٤]، كما استند إلى هوورث ليقول: «وكانت الشيعة قد ساعدت المغول في حملتهم هذه بكلّ ما تستطيع»، وجَزَمَ بأنّ اليهود شاركوا المسلمين في الدفاع عن بغداد،: «لا نشكُّ في أنّ

(١) تاريخ فتوحات مغول: ١٥.

(٢) نظام اجتماعي مغول، لفلاديميرتسوف: ٤٢.

(٣) بغداد مدينة السلام، لريتشارد كوك: ٣/١ – ٤.

(٤) بغداد مدينة السلام: ٢١٧/١. وعلَّق مترجما الكتاب إلى العربية بهامشه: «لو كان قول المؤلّف صحيحاً لسَلِمَتْ محلاّتُهم من القتل والنهب والاستباحة...، بل احترق مشهد الإمامين الجوادين (موسى الكاظم وحفيده محمد الجواد) في تلك الحادثة المشؤومة».

مكايد الشيعة والنصارى قدَّمت إلى المغول عوناً كبيراً ، ووقفَ اليهود حتى الأخير بجانب مواطنيهم المسلمين وعانوا كثيراً من كارثة المذابح التي تلت سقوط بغداد»[١] (!).

ولمّا كان كوك قد ذكر أنه استند إلى كتابات غاي لسترنج فقد انتقلت آراء لسترنج إلى كتابه، حيث نجد هذا (أي لسترنج) قدَّم معلوماته المغلوطة عن محلة الكرخ بالصيغة الآتية: «إنّ سكان الكرخ والمحلة التي حول مشهد الإمام موسى الكاظم في الكاظمين كانوا من الشيعة، وهم يكرهون الخليفة السنِّي، الأمر الذي دفعهم إلى الاتصال سِرِّياً بالعدوِّ الكافر»[٢]. وقد اعتمد فؤاد هذا الرأي من خلال نقله من لسترنج[٣]، كما وقع في هذا الوهم الباحث الألمانيّ برتولد شبولر[٤].

ومن معاصرينا الذين التزموا بإلقاء جميع تبعات الغزو المغوليّ للعراق على عاتق الوزير ابن العلقميّ والشيعة الدكتور مصطفى طه بدر الذي استند بصورة واسعة إلى هوورث في أغلب صفحات كتابه[٥]، كما استند إلى كتاب الصحفيّ ريتشارد كوك الذي كان قد أعلن في مقدّمة كتابه أنه يستند إلى هوورث[٦]. وممّن استند إلى هوورث أيضاً الدكتور الباز العرينيّ[٧]؛ ثم جاء الدكتور فؤاد الصيّاد فاستند إلى هوورث[٨] وإلى الباز العرينيّ[٩].

وهكذا فإنّ كلّ البلايا التي شابت كتاب هوورث انتقلت إلى كتابات هؤلاء الكُتَّاب المعاصرين، فمن شطحات الباز العرينيّ قوله عن المؤرّخ رشيد الدين الهمذانيّ إنه «المؤرّخ الرسميّ لهُولاكُو وأبنائه»[١٠] (!)، بينما كان الرجل وزيراً لدى محمود غازان وهو

(١) بغداد مدينة السلام: ٢٢٥/١، ٢٣١ – ٢٣٢.
(٢) بغداد في عهد الخلافة العباسية، لسترنج: ٢٩٢.
(٣) المغول في التاريخ، للصياد: ١/ ٢٧٢.
(٤) ينظر كتابه المغول في التاريخ: ١/ ٤٦ – ٤٧.
(٥) لقد أحصينا له أنه اقتبس من كتاب هوورث ٤٥ مرة في كتابه.
(٦) لقد أحصينا له ١٠ اقتباسات من كتاب ريتشارد كوك.
(٧) ينظر المغول، للباز العرينيّ: ٣٧٥.
(٨) ينظر مثلًا كتابه المغول في التاريخ: ١/ ١٣، ٣٦، ١١٥، ٣٣٢، ٣٥٣، ٣٨٣.
(٩) ينظر مثلًا كتابه المغول: ٢٩٨، ٣٥٦.
(١٠) المغول: ٢٢٠.

ابـن حفيـد هُولاگُو. وقوله إنّ المؤرّخ رشـيد الدين «يورد رواية الشـيعة الفرس التي تعتبر دوادار الخليفـة أيبـك – وهو من السـنيّين – مسـؤولاً عن هذه الكارثـة»[١]. بينما الحقيقة هي أنّ رشـيد الدين كان شـافعيّ المذهب، كما أنّ هناك مؤرّخين سُـنيّين[٢] عدُّا الدويدار مسـؤولاً عـن هزيمـة الجيش العباسـيّ؛ لأنه لم يسـمع النصيحة التي قدَّمهـا له قائد كبير فـي جيشـه بـأنْ يثبـت مكانَـه ويتوقف عـن مطاردة أفـراد القـوة المغوليّة الذين اشـتبك معهـم ثـم بـدأوا بالفرار أمامه؛ إذ قد يكون ذلك «انسـحاباً زائفاً» لإيقاع الجيش العباسـيّ فـي كميـن، لكـن الدويدار «لم يُصغِ إليه، فأدركه الليل وقد تجاوز نهر بشـير بين دُجيل، فباتـوا هنـاك، فلمّـا أصبحوا حملـت عليهم عسـاكر المغـول وقاتلوهم قتالاً شـديداً، فلم يثبت عسـاكر الدويدار، فانكسـروا وكرّوا راجعين إلى بغداد، فوجدوا نهر بشـير قد فاض مـن الليـل وملأ الصحـراء، فعجزت الخيول عن سـلوكه ووحلـت فيه، فلم يخلـص منه إلَّا مَن كانت فرسـه شـديدة، وألقى معظم العسـكر نفسـه في دجلة فهلك منهم خلقٌ كثير، ودخل مَن نجا منهم بغداد مع الدويدار على أقبح صورة، وتبعهم الأمير بايجو وعسـكره يقتلـون فيهـم وغنمـوا سـوادهم وكل مـا كان معهـم»[٣]. وهكـذا صـحَّ توقّـع ذلـك القائد الناصـح الذي استُشـهد فـي المعركة، وهُزِمَ الجيش العباسـيّ هزيمة مريرة.

وممّـن اسـتند إلـى كتابات الباز العرينـيّ والصيّاد من المتأخرين، الدكتور محمد جاسـم المشـهدانيّ في كتابه «في محكمة التاريخ: ابن العلقميّ والطوسـيّ». ولسـوء حظّ السـيّدة زينب خطابي أنها استندت في كثير من نُقول بحثها إلى كتاب الدكتور المشهدانيّ، فكانت تشير أحياناً في هوامشها إلى اقتباساتها منه، وفي أحيان أُخر تنقل منه من غير إشارة إليه.

ولمَّا كان كتاب الدكتور المشهدانيّ يعاني مشكلات علمية خطيرة، فقد انتقلت هذه المشـكلات إلـى بحـث السـيّدة خطابـي. ومن ذلـك قوله وهو يسـوِّغ مسـألة اتهامه لابن

(١) المغول: ٢٩٨، ٣٥٦.

(٢) مـن هـؤلاء ابـن الفوطـي فـي تلخيـص مجمـع الآداب: ٦٩ (ط القاسـميّ): ٣٦٠/٤ (ط الكاظـم)؛ وابـن الكازرونـيّ فـي مختصـر التاريخ: ٢٧٠ – ٢٧١. كمـا وردت واقعة الكميـن المغوليّ في كتاب الحـوادث: ٣٥٥، الـذي دأب علـى النقـل مـن ابن السـاعي وابـن الكازرونيّ وهما سُـنِّيان.

(٣) كتاب الحوادث: ٣٥٤ – ٣٥٥؛ ينظر أيضاً: مختصر التاريخ: ٢٧٠ – ٢٧١. تلخيص مجمع الآداب: ٦٩ (ط القاسمي)، ٣٦٠/٤ (ط الكاظم)؛ تاريخ الزمان، لابن العبريّ: ٣٠٧.

العلقميّ بالخيانة: «تكاد المصادر تجمع على مراسلة ابن العلقميّ للمغول واتصاله بهم. وممن ذكرَ ذلك من المؤرخين: أبو شامة (ت ٦٦٥هـ)، والجوزجانيّ (ت ٦٩٨هـ)، وابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، والنويريّ (ت ٧٣٢)، والذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، وابن الورديّ (ت ٧٥٠هـ)، وابن قيِّم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، والكتبيّ (ت ٧٦٤هـ)، وعبد الله الشيرازيّ [وصَّاف الحضرة، ت ٧٣٠هـ]، والسبكيّ (ت ٧٧١هـ)، وابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، والملك الأشرف الغسانيّ (ت ٨٠٣هـ)، وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، والمقريزيّ (ت ٨٤٥هـ)، وابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)، والسيوطيّ (ت ٩١١هـ)، والشيخ حسين الديار بكريّ (ت ٩٦٦هـ)[١]، و[نور الله] الششتريّ (ت ١٠١٩هـ)، وابن العماد الحنبليّ (ت ١٠٨٩هـ)»[٢].

وحين ينقل المشهدانيّ رأي الدكتور خصباك الذي قال فيه: «وقد أدت بنا دراستنا للتهمة الموجَّهة للوزير ابن العلقميّ إلى رفضها»، ثم أطال في تقديم الأدلة على رفضها[٣]، بادر إلى التعليق بالقول: «مَن اعتمدَهم (الدكتور خصباك) من المؤرخين في هذه الفترة [كذا] هم ثلاثة: ابن طباطبا وابن الجوزيّ والخزرجيّ؛ في حين جرَّح ابنَ العلقميّ وانتقده بشدّة كلٌّ من: أبو شامة (ت ٦٦٥هـ) والإربليّ (ت ٧١٧هـ) واليونينيّ (٧٢٦هـ)، والذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، وابن الورديّ (ت ٧٥٠هـ)، والكتبيّ (ت ٧٦٤هـ)، والصفديّ (ت ٧٦٤هـ)، والسبكيّ (ت ٧٧١هـ، وعبد الله بن فضل الشيرازيّ، وابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، والسيوطيّ (ت ٩١١هـ)، والديار بكريّ (ت ٩٩٠هـ)، وابن العماد الحنبليّ (ت ١٠٨٩هـ)»[٤].

وإذا أخذنا برأي الدكتور المشهدانيّ فإنّ أي خبر حتى لو كان كاذباً، سيصبح صادقاً إذا رواه جمعٌ كبير من الرواة.

نجد أنّ السيّدة خطابي وقد رأت هذا العدد الكبير من المؤرّخين يذكر فكرة خيانة الوزير، تابَعَتْ رأي الدكتور المشهدانيّ القائل بخيانته، فذكرت أنّ بعض المؤرّخين دافعوا عن الوزير بالقول إنَّ ما نسب إليه من خيانةٍ إنما هو «مجرد اتِّهامات لا أكثر»، لكنها

(١) ورد في الأصل: والشيخ حسن الديار بكري (ت ٩٩٠هـ). والصواب ما أثبتناه، وهو مشهور.

(٢) في محكمة التاريخ: ابن العلقميّ والطوسيّ: ٢٢ – ٢٣ .

(٣) ينظر العراق في عهد المغول الإيلخانيين: ٣٤ – ٤٣.

(٤) في محكمة التاريخ: ابن العلقميّ والطوسيّ: ٥٤– ٥٥.

سارعت إلى تأكيد رأي الدكتور المشهدانيّ فقالت: «إلَّا أنّ هذا لم يكن بصحيح. وخير دليل على ذلك هو أنّ بغداد استطاعت أنْ تتصدى للعدو عدة مرات قبل استوزار ابن العلقميّ، ولعل آخر سنة ٦٤٢هـ عند تعيينه كوزير[١]، لكن في بداياته قبل بدءه[٢] بالتلاعبات»[٣]. وقد اقتبسَتْ هذا النصّ من المشهدانيّ - بتحوير بعض ألفاظه - إذ يقول: «فماذا يفسّر هذا الانتصار على المغول في سنة ٦٤٢هـ؟ أليس هو دليل قوة الجيش وانتظام أمره، إذا ما علمنا أنّ خطط ابن العلقميّ لإضعاف الجيش قد بدأ بتنفيذها سنة ٦٤٨هـ؟»[٤].

والحقيقة فإنّ السبب في ذلك الانتصار هو أنّ القوة المغوليّة التي أغارت على بغداد كانت صغيرة (١٠ آلاف مقاتل)[٥]، فأمكن للجيش العباسيّ صدَّها، أي أنهم لم يكونوا بالعدد الهائل الذي جاؤوا به سنة ٦٥٦هـ، فضلاً عن أنّ الإجراءات التي اتخذها الخليفة وقائد الجيش إقبال الشرابي كانت سليمة وفاعلة في مواجهة القوة المغوليّة[٦]، وكما قال ابن أبي الحديد الذي كان في بغداد آنذاك: «ولم يصطدم الفَيلقان، وإنما كانت مناوشات وحملات خفيفة لا تقتضي الاتصالَ والممازجة، ورشقُ النُّشَّاب شديد. فلما أظلم الليل أوقدَ التتار نيراناً عظيمة وأوهموا أنهم مقيمون عندها وارتحلوا في الليل راجعين إلى بلادهم»[٧]، وهو ما اختصره ابن العبريّ بالقول: «أغار التتار على بلد بغداد ولم يتمكّنوا من منازلتها»[٨].

إنّ طريقة الدكتور المشهدانيّ التي تعتمد على جمع الأصوات لمعرفة صدق الخبر من كذبه، فيكون الرأي الراجح هو الذي يجمع أكثر الأصوات، هي طريقة لا ينبغي الركون إليها. فإنَّ الخبر إذا كان محتواه مخالفاً للعقل أو للوقائع، يُهمل حتى لو رواه ١٠٠ متحدِّث.

(١) كذا والصواب: بصفته وزيراً.
(٢) كذا، والصواب: بدئه.
(٣) الخليفة المستعصم بالله وسقوط بغداد: ٦٠.
(٤) في محكمة التاريخ: ابن العلقمي والطوسيّ: ٦٢.
(٥) كما قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ٢٣٩/٨، لكنه قال إن ذلك حدث سنة ٦٤٣هـ.
(٦) ينظر مختصر التاريخ: ٢٦٨.
(٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٩/٨.
(٨) تاريخ مختصر الدول: ٤٤٦، حوادث ٦٤٢هـ.

وما أبلغ قول ابن الجوزيّ: «ثم لا تنفع ثقةُ الرواة إذا كان المتنُ مستحيلاً؛ وصار هذا كما لو أَخبرَنا جماعةٌ من المعدَّلين بأنّ جمل البزَّاز دخل في خُرْم إبرة الخياط. فإنه لا حكم لصدق الرواة مع استحالة خبرهم»[١].

الحقيقة هي أنّ أحد المصادر المهمة في تخوين ابن العلقميّ لدى المشهدانيّ كانت آراء الدكتور فؤاد الصيّاد[٢]، ومن ذلك قانون «التصويت على الخبر»، فإنّ كان عدد الذين ذكروه كُثراً كان صحيحاً، ويالللأسف فإنّ الدكتور الصيّاد ورَّط كتَّاباً كثيرين ممّن تبنَّوا رأيه. لنقرأ ما يقوله الصيّاد: «تميل أغلب المصادر الإسلامية إلى اتهام ابن العلقميّ بالخيانة صراحةً وبتدخله في أمر محاصرة بغداد لصالح المغول...»[٣]، ثم عقَّب بالقول: «إنّ قلّةً من المؤرّخين خصوصاً الشيعة منهم دافعوا عن ابن العلقميّ وبرَّأوه من تهمة الخيانة»، وذكر من هؤلاء ابن الطقطقى مؤلّف كتاب الفخريّ، ثم قرنه بالمؤرخ رشيد الدين الهمذانيّ الذي قلنا إنه شافعيّ المذهب وقال: «الحقيقة التي لا شكّ فيها أننا لا يمكن أنْ نطمئن إلى ما جاء في (الفخريّ) ولا في (جامع التواريخ) بخصوص ابن العلقميّ؛ ذلك لأنّ أغلب المصادر الإسلامية قد أدانت هذا الوزير واتهمته بالخيانة، وكلّها مصادر معتبرة موثوق بها»[٤]. وكان الدكتور الصيّاد قد ذكر قبل ذلك عناوين الكتب التي اتهم كتَّابها ابن العلقميّ بالخيانة وهي: طبقات ناصري للجوزجانيّ (ت بعد ٦٥٨هـ)؛ تاريخ وصّاف لوصّاف الحضرة الشيرازيّ (ت بعد ٧٢٨هـ)؛ نهاية الأرب للنويريّ (ت ٧٣٣هـ)؛ دول الإسلام للذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)؛ العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)؛ كتاب السلوك للمقريزيّ (ت ٨٤٥هـ)؛ تاريخ الخلفاء للسيوطيّ (ت ٩١١هـ)، فباستثناء الجوزجانيّ الذي كان معاصراً للواقعة لكنه كان يعيش في الهند آنذاك، فإنّ جميع المؤرّخين الذين ذُكروا في هذه القائمة متأخرون عن واقعة الغزو المغوليّ للعراق.

سأتوقف عند جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذانيّ لأقول: إنّ تقويم الدكتور الصيّاد

(١) دفع شُبَه التشبيه بأكفّ التنزيه، لابن الجوزي،: ١٥٥(ط السقاف).

(٢) نقل الدكتور المشهداني رأي الصياد في ص ٥٣ – ٥٤ من كتابه في محكمة التاريخ.

(٣) المغول في التاريخ: ٢٧١. وقد نقلنا النص بتمامه في موضع آخر من بحثنا هذا.

(٤) المغول في التاريخ: ٥٤/١ .

لكتاب جامع التواريخ بأنه «لا يطمئن إليه»، هو كلام يثير أقصى درجات الاستغراب حين يصدر من الدكتور الصيّاد الذي كان له فضلٌ علينا نحن القرّاء العرب عندما ترجم أجزاء منه من الفارسيّة إلى العربيّة، وعرَّفَنا بهذا الكنز الثمين من المعلومات وخصوصاً تلك الخاصة بما نحن بصدده (الغزو المغوليّ للعراق)؛ إذ ثبت لي بعد عقود من دراسة هذا الكتاب أنّه من أوثق المصادر الخاصة بهذه الواقعة وبغيرها[١]، حيث علمنا أنّ مصادره التي استند إليها في هذه الواقعة هي مصادر الرواية البغداديّة بحكم علاقته ببعض مؤرّخيها كابن الفوطيّ وقطب الدين الشيرازيّ وأثبتنا ذلك في مقالات لنا منشورة[٢].

نشير أخيراً إلى أنّ الدكتور خصباك لم ينفرد بردّ تهمة الخيانة عن الوزير ابن العلقميّ، فممّن ردَّها في وقت مبكر قبل ذلك الباحثُ العراقيّ علي ظريف العبيديّ الأعظميّ البغداديّ الحنفيّ المذهب في كتابه مختصر تاريخ بغداد في القديم والحديث الذي صدر سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م، وبحث بتفصيل انهيار الخلافة العباسيّة وقال: «لا يُعقل أنْ يزحف هذا الفاتح الشهير بجنود جرَّارة على مركز الخلافة الإسلاميّة بتحريض من ابن العلقميّ وزير الخليفة - كما يقول بعض المؤرّخين - معتمداً على ذلك فقط»، ثم أثبت أنّ تعصّبهم المذهبيّ جعلهم يتهمونه بالخيانة: «عجيب واللهِ أمر هؤلاء القوم، حادوا عن الحقائق وحملوا على هذا الوزير حملات تجلَّى فيها التعصّب المذهبيّ الذي يشين التاريخ، ولو أنهم أنصفوا ونبذوا مقاصدهم السياسية وتعصّباتهم المذهبيّة جانباً لما ألصقوا بهذا الرجل تلك التهم من التحريض والخيانة والتحزب للشيعة والسعي لمحو الدولة العباسيّة إلى غير ذلك من الإسنادات التي تكذِّبها الأخبار التاريخية الصحيحة ويأباها العقل السليم»[٣].

(١) قمنا بكتابة تعريفٍ برشيد الدين وكتابه وبأهميته في مقدمتنا للطبعة التصويرية لمخطوطة الترجمة العربية القديمة لكتاب جامع التواريخ (مخطوطة أيا صوفيا).

(٢) عن استناد رشيد الدين في واقعة الغزو المغولي للعراق إلى رواية المؤرخين البغداديين، انظر مقالنا الموسوم: «رشيد الدين وأخبار الغزو المغولي للعراق» المنشور في مجلة الاجتهاد والتقليد: العددان ٤٨ - ٤٩، والعددان ٥٠ - ٥١، سنة ٢٠١٩، ٢٠٢٠م؛ انظر أيضاً مقدمتنا لكتاب ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان لقطب الدين الشيرازيّ: ٥٤ - ٦٢، حيث قدَّمنا أمثلة محدَّدة على ذلك.

(٣) مختصر تاريخ بغداد في القديم والحديث، للأعظميّ: ١٢٥. وقد خصصنا فصلًا في كتابنا إعادة كتابة التاريخ نقلنا فيه شطراً من الآراء الرصينة لهذا الباحث، فليُراجع.

وقال الدكتور جعفر خصباك: «ومثلُ هذه التهم ليست غريبة في أيام المحن العامة والكوارث الخطيرة، وقد كان سقوط بغداد بأيدي المغول الوثنيين وقتلهم خليفة المسلمين حدثاً عظيماً هزَّ العالم الاسلامي وترك جرحاً عميقاً في قلوب المسلمين جعلهم يفتشون عمّن كان السبب فيه، وكان الوزير شيعياً في وقت كان للدين فيه سيطرة عظيمة على النفوس والمنازعات الطائفية شديدة في بغداد، وكان يحتل اسمياً المنصب الثاني في دولة الخليفة وأعداؤه يتربصون به الدوائر، والأحوال العامة في تدهور، والمغول يطرقون أبواب البلاد بدون أنْ يكون أمامهم استعداد عسكريّ واضح؛ وقد قُتل الخليفة واستُبيحت بغداد فلم يُقتل الوزير، بل إنه كان أحد جماعة عُهد إليهم إعادة تنظيم إدارة العراق، فَلِمَ لا توجَّه إليه التهمة وقد جمع إليه الخيانةَ من أطرافها كما يبدو ذلك لأول وهلة؟»[(١)].

وممّن ردَّها الدكتور بشار عواد معروف الذي ناقش هذه الإشاعة القائلة إنّ الوزير تعهَّد للمغول أنْ يفتح لهم باب بغداد على أنْ يجعلوه حاكماً عليها، فقال:

«مهما يكن من أمر، فإنَّ الذي يبدو لي أنّ الإشاعة كانت موجودة، وهي محتملة الحدوث في تلك الظروف التي كان الناس فيها يبحثون عن سبب مباشر يبرِّرون فيه سقوط المدينة؛ ذلك الأمر الذي ظهر بشكل عنيف على مرِّ العصور متَّخذاً من الوزير مؤيد الدين ابن العلقميّ وزير الخليفة المستعصم بالله سبباً في سقوط بغداد وذهاب الخلافة العباسيّة منها، تلك التهمة التي بقيت عالقة به لمدة طويلة حتى أبان البحثُ العلميُّ المستند على الأدلة خَطَلَ تلك التهم وتبرئة ابن العلقميّ»[(٢)].

وممّن ردَّها، الدكتور سعد الغامديّ – الباحث المتعمِّق في التاريخ المغوليّ والدراسات الخاصة به – الذي يعتقد أنّ التهمة هي مسألة ذات بُعد طائفي، ويرى أنّ الذين اتهموا الوزير، ومنهم منهاج السِّرَاج الجوزجانيّ مؤلّف طبقات ناصري «كانوا مؤرّخين سُنِّيين متطرِّفين، وَجَّهوا إليه تلك التُّهم أصلاً بدافع من التعصب المذهبيّ،

(١) العراق في عهد المغول الإيلخانيين: ٣٤. وكان خصباك أستاذاً في كلية الآداب ومحاضراً في معهد الدراسات الإسلامية العليا في جامعة بغداد.

(٢) مقالة «الغزو المغولي كما صوَّره ياقوت الحموي» للدكتور معروف، في مجلة الأقلام العراقية: السنة ١، الجزء ١٢، ربيع الثاني ١٣٨٥هـ/آب ١٩٦٥م. الخطل: الكلام الكثير الفاسد.

تمليه حوافز عدوانية وعواطف تحاملية يكنُّونها تجاه هذا الوزير المسلم الشيعيّ المذهب. لهذا فإنّ المرء ليقف عند روايات من هذا القبيل موقفَ الشك، هذا إذا لم يرفضها رفضاً قاطعاً؛ وإنّ ما أورده أولئك المؤرّخون في تقاريرهم حولَ هذا الشأن لا يقوم على أساس علميّ دقيق ومحقَّق»[1]. ثم ينقل الغامديّ من منهاج السِّراج الجوزجانيّ في طبقات ناصري (١٩٣/٢)، أنّ المستعصم لمَّا سمع الإشاعات عن خيانة الوزير قال إنّ هذا الكلام من افتراءات الدويدار الصغير، وإنّ الوزير لا يمكن أنْ يقوم بعمل كهذا.

وقد علَّل العلَّامة الدكتور مصطفى جواد سبب اتهام الوزير بالخيانة بالقول: «إنما اتُّهِمَ بذلك لأنه كان شيعياً، ولو كان غيرَ شيعيّ ما اتَّهمه أحد»[2].

إرهابيون من معشر الجِن يغتالون صحابياً

قيل إنَّ معشر الجِنِّ نصبوا كميناً للصحابيّ سعدِ بنِ عبادة الخزرجيّ عند زيارته بلاد الشام، حتى إذا ذهب يبول في العَراء شَكُّوا بالسَّهم فؤادَه فمات، وقيل إنّ هناك مِن «معشر الإنس» مَن سَمِعَ «معشر الجن» يردِّدون - بعد قتلهم سعداً - شعراً نظموه (أي الجن) في تلك المناسبة:

قَدْ قَتَلْنَا سيِّدَ الخزرجِ سَعْدَ بنَ عُبادَهْ

ورَمَيناهُ بسَهمينِ فلَمْ نُخْطِئْ فؤادَهْ

ووثَّق الرواةُ عمليةَ القتل بأنْ ذكروا أنّ مجموعة أخرى من معشر الجنِّ أيضاً نقلوا عبر باطن الأرض بالأمواج الصوتية خبرَ مقتله من الشام إلى الحجاز؛ فقد صادف أنّ جمعاً من غلمانِ المدينة المنورة ذهبوا يمتَحون الماء من أحد آبارها، وحين أدلوا دلَوهم فيها سمعوا غناءً كُورالياً ينطلق من باطن البئر مردِّداً بيتي الشِّعر «قدْ قَتَلْنَا سيِّدَ الخزرجِ...»، فحفظوا تأريخ ذلك اليوم، وبعد مدّة جاء الخبر من الشام بمقتل سعد في التأريخ نفسه الذي سُمِعَ فيه ذلك الغناء الخارج من البئر.

(١) سقوط الدولة العباسية ، للغامدي: ٣٤٢.

(٢) السلك الناظم لدفناء مشهد الكاظم، للدكتور جواد، قسم الكاظمين: ٢/ ٣٢٣، موسوعة العتبات المقدّسة.

أيُكتفى بالقول: بما أنّ عدداً كبيراً من المؤرّخين والمحدّثين[١] «أجمعوا» على أنّ سعداً قتلته الجِن، إذاً فلا داعي للبحث عن رواية أخرى لمعرفة سبب آخر لوفاته؟ ألَا يمكن أنْ تكون هذه العملية اغتيالاً سياسياً نفَّذه «إنسان»، ثم اتَّهَمَ به «الجانّ»؟ هل يمكن أنْ نأخذ بعين الاعتبار قول ابن أبي الحديد: «أمَّا أنا، فلا أعتقد أنّ الجن قتلت سعداً، ولا أنَّ هذا شعرُ الجنّ؛ ولا أرتابُ أنَّ البشر قتلوه، وأنَّ هذا الشعرَ شعرُ البشر»[٢]؟

أيجوز لنا أنْ نقول بأنّ كاتباً واحداً – هو ابن أبي الحديد – نفى دَور الجنّ في قتله، بينما أثبته أكثر من تسعة عشر محدِّثاً ومؤرّخاً؛ وعليه فإنّ الصواب هو مع الأكثرية؟

تأسيساً على هذا نقول إنّ ما أعلنه الدكتور المشهدانيّ بأنّ الدليل على خيانة الوزير هو كثرة عدد الرواة الذين قالوا بخيانته، هو كلام باطل إذا كان الخبر ممّا يرفضه العقل وتكذِّبه الوقائع.

أجمع عليه المؤرّخون

دأب بعض كُتَّابنا المعاصرين حين يُورِد نصّاً ما على أنْ يقدِّم له بعبارة «وهذا ما أجمع عليه المؤرّخون الذهبيّ وابن كثير وابن شاكر والمقريزيّ وابن تغري برديّ والديار بكريّ...»، وهو يُشعر أنّه سيكبر في عيون قُرَّائه حين يكدِّس قُبالةَ أعينهم هذه الأسماء المعروفة في التأليف التاريخيّ، لكن كان على هؤلاء السادة أنْ يدركوا أن أولئك المؤرّخين الذين كدَّسوا أسماءهم لم يزيدوا شيئاً على أنْ ردَّدوا رواية واحدة على مرّ القرون والأعصار، تناقلوها

(١) نقلَ خبر قتل الجنِّ سعداً مؤرّخون ومحدِّثون منهم: مقاتل بن سليمان في تفسيره: ١٨٦/١؛ ابن سعد في الطبقات الكبرى: ٦١٧/٣، ٣٩٠/٧ – ٣٩١؛ والطبرانيّ في المعجم الكبير: ١٦/٦؛ وعبد الرزاق الصنعانيّ في المصنَّف: ٥٩٧/٣؛ وابن قتيبة في المعارف: ٢٥٩؛ وأبو الشيخ في كتاب العظمة: ١٦٧٣/٥؛ والحاكم النيسابوريّ في المستدرك: ٢٥٣/٣؛ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ٢٦٩/٢٠؛ وابن الجوزيّ في صفة الصفوة: ٥٠٥/١، والمنتظم: ٢٠٠/٤؛ وياقوت في معجم البلدان: ١٠٥/٣؛ وابن الأثير في أسد الغابة: ٢٨٥/٢؛ وجمال الدين القزوينيّ في مفيد العلوم: ١٢٩؛ وابن قدامة في المغني: ٢٢٦/١؛ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٣١٧/١؛ والذهبيّ في تاريخ الإسلام: ٨٧/٢ ط معروف، وسير أعلام النبلاء ، للذهبي: ٢٧٨/١؛ وابن كثير في البداية والنهاية: ٦٠٨/٩؛ وابن خلدون في العبر: ٢(١) /٢٩٤، ٢(٢) /٦٤...

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١٢/١٠، ٢٢٣/١٧.

مـن بعضهـم بعضاً، وهي التي يصرُّ أغلب كتَّابنا المعاصرين على تَكرارها.

وعلـى فـرض كـون الراوي ثقةً لدى المؤلّف، فهذا لا يـؤدي للحكم على صحة الرواية، إذ قـد يـؤدي فحـص مضمونها إلى اكتشـاف تهافتهـا وكذبها. ونستشـهد بقـول المؤرّخينِ لانجلـوا وسـينوبوس: «القـول بأنَّ وثيقـةً ما صحيحةٌ، لا يعنـي إلاَّ أنَّ مصدرها وثيق؛ لا أنَّ مضمونها دقيق»[١].

ما هي حقيقة «أجمع عليه المؤرِّخون»؟

رأينـا كيـف أنّ الدكتور المشـهدانيّ فـي محاولته إثبات تهمة الخيانـة على الوزير ابن العلقمـيّ قال: «تكاد المصادر تُجمع على مراسـلة ابـن العلقميّ للمغول واتصاله بهم»[٢]. ومـن وجهـة نظرنـا المتواضعـة، فإنّ عبارة «أجمـع عليه المؤرِّخون» لا ينبغـي أنْ تُقال إلَّا فـي حالـة واحـدة، هي أنْ يكـون أولئـك المؤرّخون متعاصرين ثم شـهِدوا واقعـةً معيَّنة، فدوَّنوهـا واتفقـوا علـى حـدوث جـزءٍ أو أجـزاء منهـا؛ أو حدَّثهـم بهـا مَـن يثقـون بـه أنّه شَـهِدَها، فيقولـون إنّهـم سـمعوها من فلان الـذي كان حاضـراً فيها؛ عندهـا يُقال «أجمع المؤرّخون المعاصرون لتلك الواقعة على أنّهم رأوا كذا، أو على أنّهم سـمعوا من شـخص أو أكثـر ممّـن حضـروا الواقعـة أنّ ما حدث هو...»؛ بينما نجد كثيرين من المتمسـكين بـ «أجمـع عليـه...»، يـوردون روايـة واحدة تناسـخها من بعضهـم بعضاً مؤرّخون عاشـوا في أزمنـة وأمكنـة مختلفة وربّما متباعـدة، كقولهم: هذا ما أجمع عليـه المؤرخون كالذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، وابـن خلـدون (ت ٨٠٨هـ)، والعينـيّ (ت ٨٥٥هـ)، والسـيوطيّ (ت ٩١١هـ)، والديار بكريّ (ت ٩٦٦هـ)، ونظمي زاده (ت ١١٣٦هـ). وبين كلّ واحد منهم والآخر القرن والقرنـان وربّما القرون.

فابن شـاكر الكتبيّ (ت ٧٦٤هـ) مثلاً كان ينقل أخبار ابن العلقميّ من «الشـيخ شـمس الديـن الذهبـيّ»[٣]؛ وكان الذهبـيّ ينقـل كثيـراً من المـؤرّخ ابن واصـل[٤]، وكذلك من ابن

(١) المدخل إلى الدراسات التاريخية للانجلوا وسينوبوس: ١٢٤.

(٢) ابن العلقمي والطوسيّ للمشهداني: ٢٢ – ٢٣ .

(٣) عيون التواريخ: ١٩٤/٢٠.

(٤) ينظر مثلًا تاريخ الإسلام: ٢٧/٣٦، ٣٠١، ١٥/٤٠...، سير أعلام النبلاء: ٢١١/١٥، ١٩١/٢٠، ٥٣٧...

الجـزريّ ومـن أبي شـامة[١]؛ والعينيّ قال إنه نقل أخبار واقعـة الغزو المغوليّ للعراق من النويـريّ وابـن كثيـر وبيبرس المنصوريّ[٢]؛ وابـن الجزريّ ينقل من اليونينـيّ[٣]؛ واليونينيّ ينقـل من ابن واصل[٤]؛ والصفديّ كان يسـتند بصورة رئيسـة إلـى كتابات الذهبيّ[٥]؛ وأبو الفـداء ينقل من ابن واصـل[٦]؛ وقِسْ على هذا.

القفز العشوائيّ على رؤوس المؤرّخين

كثيـراً مـا وجدنـا أنّ بعـض معاصرينـا من أفاضـل كتّابنا فـي التاريخ حيـن يريد إثبات واقعـةٍ مـا يسـتعين بمصدريـن أو أكثـر لتحقيق هدفه، لكـن يحدث في أحيـان كثيرة أنْ تكـون المصـادر المستشـهَد بها مـن أزمنة متباعـدة، بل وأماكـن متباعدة.

إنّ أكثر الآفات فتكاً بالبحوث سـواء أكانت مؤلَّفات يؤلّفها الكتّاب أو رسـائل جامعية، هي الكسـل واختيار الطرق السـهلة، حيث يُكتفى بحفنة من المصادر الثانوية المتوافرة دومـاً علـى رفـوف المكتبات الخاصّة والعامّة ولا تتطلب جهداً في النقل منها مثل كتابات الذهبـيّ وابـن كثير والسـبكيّ وابن شـاكر وابن خلـدون، فمثلاً الدكتور راغب السـرجانيّ ألّف كتاباً ضخماً (٤٢٤ صفحة) عن واقعة الغزو المغوليّ سنة ٦٥٦هـ للعراق مستنداً إلى خمسـة مصـادر فقط، فإذا حذفنا الأول منها وهو الكامـل في التاريخ لابن الأثير المتوفّى سـنة ٦٣٠هـ أي قبـل الغـزو بربـع قرن، لا يبقى سـوى أربعـة مصادر وهي بأسـرها ثانوية كتبهـا مؤرّخـون متأخّـرون عـن عصـر الغزو، وهـي: البدايـة والنهايـة لابن كثيـر المتوفّى سـنة ٧٧٤هـ؛ تاريـخ ابـن خلـدون المتوفّى سـنة ٨٠٨هـ؛ النجوم الزاهرة لابـن تغري برديّ المتوفّى سـنة ٨٧٤هـ؛ تاريخ الخلفاء للسـيوطيّ المتوفّى سـنة ٩١١هـ.

سـأضرب مثـلاً بمـا كتبـه الباحـث الدكتـور فـؤاد الصيّـاد عن مسـألة اتهـام الوزير ابن

(١) ينظر مثلًا تاريخ الإسلام: ٦٥٨/١٤، ٦٥٩، ٦٦١، ٦٦٤(ط معروف).

(٢) ينظر عقد الجمان: ١٧٠/١، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧.

(٣) تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، لابن الجزري (اختيار الذهبيّ): ٢٥٩.

(٤) ذيل مرآة الزمان (ط الجراخ): ٢٩١/١.

(٥) ينظر مثلًا كتابه الوافي بالوفيات: ٣٣٦/٣٠، ٣٣٧، ٣٣٩.

(٦) ينظر مثلًا: المختصر في أخبار البشر: ١٩٤/٣.

العلقميّ بالخيانة؛ إذ قدَّم لذلك بالقول: «تميل أغلب المصادر الإسلامية إلى اتهام ابن العلقميّ بالخيانة»، ثم ذكر أنّ تلك المصادر «تُرجع السبب في ذلك إلى حادث نهب الكرخ وتخريب مشهد الإمام موسى الكاظم على يد أبي بكر بن المستعصم، وما تبع ذلك من قسوة وإهانة لحقت السكان الشيعة، فتأثر الوزير الشيعيّ أشدّ التأثر وصمّم على أنْ يساعد هُولاگُو في الاستيلاء على بغداد والقضاء على الخلافة العباسيّة؛ ولهذا كان يرسل الرُّسل سراً إلى هُولاگُو ليُطلع المغول على ضعف الخليفة، وليهوِّن لهم من شأنه، وليسهِّل لهم مَهمة فتح بغداد. كما تذكر هذه المصادر أنّه لما حاول الخليفة أنْ يستعدّ لملاقاة جيش العدو، قطع ابن العلقميّ أرزاق الجند وثبَّط همَّة الخليفة وصرفه عن الاستعداد بحجّة أنّه رتَّب شؤون الصلح إلى آخر هذه الوسائل التي انخدع بها الخليفة حتى سقطت بغداد لقمة سائغة في أيدي المغول»[1]. انتهى كلامه وأحال في الهامش على مصادره التي قال إنّه استقى منها هذا الكلام الطويل، فكانت: «طبقات ناصري للجوزجانيّ المتوفّى بعد سنة ٦٥٨هـ؛ تاريخ وصّاف الحضرة الشيرازيّ المتوفّى سنة ٧٣٠هـ؛ نهاية الأرب للنويريّ المتوفّى سنة ٧٣٣هـ؛ دول الإسلام للذهبيّ المتوفّى سنة ٧٤٨هـ؛ العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون المتوفّى سنة ٨٠٨هـ؛ السلوك للمقريزيّ المتوفّى سنة ٨٤٥هـ؛ تاريخ الخلفاء للسيوطيّ المتوفّى سنة ٩١١هـ». فباستثناء المصدر الأول الذي عاصر مؤلّفه (الجوزجانيّ) الوقائع لكنّه كان يعيش في نيودلهي الحالية بالهند فكان إمّا أنْ يكون قد سمع أخبار واقعة غزو العراق شفاهياً ممّن حدَّثوه بها فيما بعد أو أنّه نقلها من كتاب جيء له به، فإنّ بقيّة مؤلّفي المصادر المذكورة قد عاشوا بعيدين زمانياً ومكانياً عن الواقعة، فضلاً عن أنّ بعض ما كتبه الدكتور الصيّاد موجود لدى كتّاب معاصرين مثل هوورث ولسترنج والباز العرينيّ ومصطفى طه بدر الذين دأب الصيّاد على النقل منهم في كتابه هذا.

إن ما قام به الصيّاد من عملية «القفز العشوائيّ على رؤوس المؤرّخين»، بأنْ ينتقل من الجوزجانيّ إلى وصّاف الحضرة، ويستمرّ حتى يصل إلى السيوطيّ، عمل مرفوض بل ومُدان؛ لأنّه ورَّط كثيراً من الكتّاب اللاحقين الذين لا ممارسة لهم في التعامل

(١) المغول في التاريخ: ٢٧١ – ٢٧٢.

الطويـل النَّفَـس مع المصـادر القديمة، فتصوَّروا أنّ ما كتبه هـؤلاء المعاصرون – بما لهم مـن أسـماء معروفـة – هـو الحقيقة، ولم يكن الأمـر كذلك، بل كان تضليـلاً، بل إنّه صنع مـا هـو أكثـر تضليلاً حين قـال إنّ هناك مَن يتهم بالخيانة أيضاً «سـكان الكرخ الشـيعة»، ثم اسـتدلّ لإثبات ذلك بقول الباحث غاي لسـترنج: «إنّ سـكان الكرخ والمحلة التي حول مشـهد الإمـام موسـى الكاظـم فـي الكاظميـة كانوا من الشـيعة، وهـم يكرهـون الخليفة السـنّي، الأمـر الذي دفعهم إلى الاتصال سـرّاً بالعـدو الكافر»[1].

وهـل كان لسـترنج المتوفّـى سـنة ١٩٣٣م حاضراً واقعـة الغزو المغولـيّ ليخبرنا بهذه المعلومة التي دعت الدكتور الصيّاد إلى الاسـتناد إليها؟ الجواب البديهيّ هو أنّه لا بدّ أنْ يكـون قـد نقلها من مصـدر متقدّم ونعتقد أنه هـوورث؛ ذلك أنّ أحداً مـن المؤرّخين لم يتهـم إطلاقاً سـكان الكرخ بالاتصـال بالمغول، وكان خلاصة ما قالوه هو اتهامهم لشـخص واحـد هـو الوزيـر ابن العلقميّ، وأنّه كتب رسـالة لهم بالطريقـة الخرافية التي ذكرناها.

وهكـذا لـم يسـتند الصيّـاد فيمـا نقله هنا من نصـوص حتى ولا إلى روايـة واحدة من روايـات المؤرّخيـن البغداديّيـن الذيـن كانـوا فـي بغـداد عند حـدوث واقعة الغـزو ممن كرَّرنـا ذكرهـم فـي مقالنا هـذا مثل ابن السـاعي وابن الكازرونـيّ وابن الفوطـيّ (المثلث الذهبـيّ)، أو مَـن كان مجـاوراً للواقعـة زمانيـاً مثل ابـن العبري، أو مَن التقـى ببعض مَن شهِد الواقعة مثل رشيد الدين الهمذانيّ الذي كانت له علاقة بمَن حضرها – حيث كانت لـه علاقـة مثـلاً بابـن الفوطـيّ وكذلـك بقطـب الديـن الشـيرازيّ – أو مَن نقـل منهم مثل الأشـرف الغسـانيّ الـذي نقل نصوصـاً مطوَّلة من ابن السـاعي.

مـع التذكيـر بـأنّ الصيّـاد وكذلك البـاز العرينيّ مـن قَبْله – ربما لشـعورهما بالحرج – امتنعـا عـن ذكـر الطريقـة التـي راسـل بهـا ابـن العلقمـيّ هُولاگُـو (حفـر الرسـائل علـى الجماجم)، وهذا مخالف للأمانة العلمية وخِداع للقارئ الذي سـيتصور أنّ ما حدث فعلاً هـو مـا نقلـه السـادة المؤلِّفون من جمعٍ من المؤرّخيـن القدماء غير منتبهيـن إلى أنّ ما نقله معاصرونا هو رواية واحدة كتبها مؤرّخون من الشـام ومصر واستنسـخها بعضُهم من بعـض، لكـن الدكتـور مصطفى طه بـدر نقلَها[2] ولـم يعلِّق عليها، وكأنـه مصدِّق بها.

(١) المغول في التاريخ: ٢٧٢.

(٢) ينظر المغول: ١٥٨.

خرق استخباراتيّ خطير

امتنع جميع كتَّاب الرواية الشاميّة/ المصريّة عن ذكر هذا الخرق الاستخباراتيّ الخطير، كما امتنع عن ذكره مَن اقتبس مِن روايتهم ومنهم المصطفى طه بدر والباز العرينيّ وفؤاد الصيّاد والمشهدانيّ وتبعاً له السيّدة خطابي؛ ويعود السبب في ذلك إلى أنّ ذكر هذا الخرق سينسف رواية المؤرّخين الشاميّين/المصريّين الذين ظلّوا يكررونها ويعدِّلونها ويزيدون فيها أو يحذفون منها قروناً طويلة حتى اتخذت شكلها الذي وصلتنا به، وانتشرت انتشاراً هائلاً وركِّزت على رجل واحد هو الوزير ابن العلقميّ الذي أُلقيت في رأسه جميع موبقات ما حلَّ بالخلافة والخليفة وبالمسلمين، إذ اتُّهم بأنه راسل المغول ودعاهم إلى المجيء، بينما سنجد أنّ هذا الخرق الاستخباراتيّ الذي سنفصّله أدى إلى أنْ يطَّلع هُولاگُو بلا عناء على كلّ ما أراد معرفته عن عدوِّه الذي سينازله في الأيام القادمة.

عند وصول هُولاگُو قريباً من بغداد أقام معسكره في قرية سلمان باك المعروفة باسم المدائن التابعة لمدينة بغداد، ولما كان الخليفة قد تملَّكه القلق بعد تسلّمه رسالة هُولاگُو، وأراد معرفة معلومات عن هذا الجيش المغوليّ القادم، طلبَ إلى اثنين من قادة القوات المسلحة هما أيبك الحلبيّ شِحنة بغداد، أي مدير شرطتها، وسيف الدين قليج شِحنة مدينة الحلة[١]؛ أن يكونا طليعةَ جيشه يتجسَّسان على العدو لمعرفة عَدده وعُدِّته ومواقعه وتحركاته، غير أنّ المغول اكتشفوهما فألقوا القبض عليهما وأخذوهما إلى معسكر هُولاگُو في المدائن[٢]، فأعطاهما الأمان إنْ هما تحدَّثا إليه بكلّ ما لديهما من معلومات، ففعلا ذلك «ثم جعلهما مُرشدينِ لطلائع قوات المغول»[٣]. وفي كتاب الحوادث أنّ أيبك الحلبيّ «مضى واتصل ببايجو، وأقبل بين يدي العسكر يعرِّفهم الطرق ويهديهم»[٤]، وفضلًا عن ذلك بادر أيبك الحلبيّ إلى كتابة رسائل إلى كبار القيادات في بغداد يطلب إليهم التعاون مع الجيش المغوليّ القادم وعدم مقاومته بقوله فيها:

(١) ينظر كتاب الحوادث: ٢٦٦، ٣٤٥.

(٢) خبر إلقاء القبض عليهما لدى رشيد الدين، ينظر: جامع التواريخ، لرشيد الدين: ٧٠٨/٢ (الطبعة الفارسيّة)، ٢٨٢/(١)٢ (الترجمة العربية)؛ كتاب الحوادث: ٣٤٩، تاريخ مختصر الدول: ٤٧٢.

(٣) جامع التواريخ: ٧٠٨/٢ (الطبعة الفارسية)، ٢٨٢/(١)٢ (العربية).

(٤) كتاب الحوادث: ٣٤٩.

«ارحمـوا أرواحَكـم واطلبـوا الأمان، لأنْ لا طاقة لكم بهـذه الجيوش الكثيفة»[١].

تكمـن أهميـة هذا الخرق في أنّ هذين القائدين في القوات المسـلحة العباسـيّة كانا يعرفان كلّ شـيء عن الجيش العباسـيّ، ثم إنهما وخوفاً ممّا سينزله بهما المغول – الذين اشـتهروا بإجرامهـم – من عذاب، قدَّما كلّ تلـك المعلومات واليقينيّ أنهما قدَّما ما تطلبه القوات المعادية في حالات كهذه: عدد أفراد القوات المسـلحة، أماكن المعسـكرات التي تتجمع بها هذه القوات، هل تحركت القوات إلى مكانٍ ما أم أنها ما زالت في مواضعها؟ مـا هـي أنـواع أسـلحة الجيش؟ وعليـه، فإنّه بإلقاء القبـض على هذيـن القائدين أصبحت بغداد مكشوفة لدى المغول وعرفوا نقاط ضعفها، كما أنّ هذين أصبحا مرشدينِ للجيش المغوليّ يرشدانه إلى الطرق التي ينبغي له أنْ يسلكها، ومن هنا عرف هُولاگُو ومَن معه مـن القـادة العسـكريّين أو مرافقيه من أفراد الحاشـية المرافقة لـه، أنّ انتصارهم محقَّق على الجيش العباسـيّ حتى لو كان بمقارنة أعداد المقاتلين في الجانبين.

إخفاء جنود قوَّات المغاوير

نسـبت الروايـة الشـاميّة/المصريّة إلـى الوزيـر ابـن العلقمـيّ أنـه قام بتسـريح جنود الخليفة أو إخفائهم، وإنّ هذه العملية لا تخلو من الطرافة أيضاً. وهي أسـطورة تكاملت علـى أيـدي مؤرّخيـن لم يكونوا وُلِدوا بعدُ عندما احتلَّ المغولُ العراق سـنة ٦٥٦هـ، أمثال ابـن دقمـاق (٧٥٠ – ٨٠٩هـ) وابن تغري بـرديّ (٨١٣ –٨٧٤هـ).

وبدايـة خبـر هـذه الواقعـة لم تكن تشـير إلى دَور لابـن العلقميّ فـي تخفيض أعداد أفراد الجيش العباسـيّ، حيث نجد ابن واصل يقول: «وكان المسـتنصر بالله رحمه الله قد اسـتكثر مـن الجنـد حتى قيل إنّه بلغ عسـكره نحو مئة ألـف وكان منهم أمراء أكابر يُطلق علـى كلٍّ منهـم لفـظ الملـك وكان مع ذلـك يصانع التتـر ويهادنهم. فلّما ولي المسـتعصم أُشـير عليـه بقطـع أكثر الجنـد وأنّ مصانعة التتر وحمل المال إليهـم يحصل به المقصود، ففعل ذلك وقلَّـل من الجند»[٢].

(١) تاريخ مختصر الدول: ٤٧٢.

(٢) مفـرج الكـروب: ٢١٤/٦؛ الـكلام بنصِّـه في ذيل مـرآة الزمان: ١٢٣/١(ط الجـراخ)، الذي دأب على النقـل مـن ابـن واصل (مثـلاً: ٢٩١/١)؛ وهو بنصـه في تاريخ الإسـلام : ٦٧١/١٤ (ط معروف).

إذاً في البداية، كانت الجملة هي «لمّا وَلِي المستعصم أُشير عليه»، فالفعل «أُشير» مبني للمجهول، لكن بمرور السنين أُلقيت تهمة تخفيض أعداد الجند على عاتق ابن العلقميّ أيضاً بتفاصيل ظلّت تتطور على مدى القرون، فتحولت إلى مراسلات ونقاشات بين هُولاگُو وابن العلقميّ، حيث ذُكر أنّ ابن العلقميّ كاتَبَ هُولاگُو وقال له: «تعالَ إلى بغداد وأنا أسلِّمها لك»؛ فأرسل هُولاگُو جواباً إلى ابن العلقميّ، قال فيه: «إنّ عساكر بغداد كثيرة، فإنْ كنتَ صادقاً فيما قلتَه إلينا وداخلاً تحتَ طاعتنا، فَفَرِّقْ العساكرَ، فإذا عملتَ ذلك حَضَرْنا.

فلّما وصل كتابُه إلى الوزير، دخل إلى المستعصم وقال له: إنَّ جندك كثيرون، وعليك كِلَفٌ كثيرةٌ، والعدوُّ قد رجع من بلاد العجم، وعندي من الرأي أنك تعطي دستوراً[١] لخمسة عشر ألف فارس من عسكرك وتوفِّرْ معلومَهم[٢]؛ فأجابه الخليفةُ إلى ذلك.

فخرج الوزير وعَرَضَ العسكرَ وانتقى منهم خمسة عشر ألف فارس نقاوةَ العسكر[٣]، وأعطاهم دستوراً ومنعهم من الإقامة ببغداد وأعمالها، وأخرجَ لهم أوراق الدستور، فتفرَّقوا في البلاد.

ثم إنّ الوزير المذكور عليه لعنة الله أتى الخليفةَ بعد أشهر وعمل مثلَ ما عمل أولاً وأعطى دستوراً لعشرين ألف فارس، وكانوا (كذا) هؤلاء الخمسة والثلاثون ألفاً مقوَّمين بمئتي ألف فارس[٤]، فلّما فَعَلَ ذلك كتبَ إلى الملك هُولاگُو بما فعله، فركب هُولاگُو وقصدَ بغداد إلى أنْ نَزَلَ عليها»[٥].

وكرَّر ابنُ تغري برديّ (ت ٨٧٤هـ)، وكذلك المؤرّخ الإيرانيّ حافظ أبرو (ت ٨٣٣هـ)، والديار بكريّ (ت ٩٦٦هـ) المتأخرون جدّاً عن واقعة الغزو المغوليّ للعراق، روايةَ تشتيت ابن العلقميّ لهذه الآلاف المؤلَّفة من العساكر[٦].

(١) الدستور: الأمر أو المرسوم.

(٢) معلومهم: رواتبهم.

(٣) نقاوة العسكر: قوات النخبة في الجيش.

(٤) أي أنهم كانوا يعادلون من حيث الكفاءة القتالية مئتي ألف فارس.

(٥) الجوهر الثمين، لابن دقماق: ٢٢٠/١ – ٢٢١، وينظر نزهة الأنام، لابن دقماق: ٢٣٤.

(٦) ينظر: مورد اللطافة،لابن تغري برديّ: ٢٣٢/١؛ الجغرافيا، لحافظ أبرو: ٦٢/٢ – ٦٣؛ الخميس في

ويُفترض أنْ يكون شخصٌ واحدٌ هو الوزير ابن العلقميّ - الذي لم يكن لديه من الجنود سوى قوة حماية صغيرة من الأتراك كانوا حين يحدث توتر بينه وبين الدويدار الصغير، يتخلَّون عنه وينضمُّون إلى زملائهم الأتراك ممَّن مع الدويدار الصغير[١] - قد تمكن لوحده من إلقاء القبض على آلاف الجنود (من قوات النخبة أو المغاوير) وأخفاهم أو فرَّقهم، وكأنهم دجاج يُجمع في أقفاص في أماكن سِرِّية ومجهولة خارج بغداد، فلا يعلم بهم أحدٌ، بل ولم تقع عليهم عينُ أحد من أهل بغداد لدى إلقاء القبض عليهم وإخراجهم من المدينة. وإنما افترضنا أنه ألقى القبض عليهم بمفرده؛ لأنّ أفراد حمايته كانوا من الأتراك، وأنّ الجنود الذين يُفترض أنّه أُلقي القبض عليهم كانوا أتراكاً أيضاً؛ لذا كانوا سيتمردون حتماً لو أمرهم الوزير بإلقاء القبض على أبناء جلدتهم، فلم يبقَ إلَّا أنْ يباشر الوزير بنفسه فقط إلقاء القبض على ٣٥ ألف جندي وضابط من أفراد قوة المغاوير تلك، الذين كانوا يستسلمون له بصمت وهدوء، ثم يبعث بهم في منافي الأرض، فلا يعترض منهم معترض على هذا الإجراء أو يقاوم بلسانٍ ولا سيف، بل ولا يشتكي فردٌ واحدٌ منهم إلى أيِّ مسؤول في الدولة، ويضيع خبرهم وإلى الأبد؛ ٣٥ ألف جندي وضابط أُلقي عليهم القبض وهم صامتون سامدون[٢] (وقد ذُكر أنهم قوات نخبة أو مغاوير)، ولم يكن أيُّ واحد منهم يحتجّ أو يقاوم بسيفه أو لسانه، ولم يذهب أيٌّ منهم إلى الدويدار الصغير قائد الجيش وهو ألدُّ مناوئي ابن العلقميّ ليخبرَه بهذا السلوك المدمِّر، وعندها ستكون هذه فرصة لفضح مخطط الوزير المدمِّر للجيش ويخبر الخليفة بما يقوم به ابن العلقميّ، ممّا سيسقط هذا الوزير نهائياً.

ولم يسمع بذلك أستاذ دار الخلافة وهو محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزيّ الذي «كان عدوَّ الوزير»[٣].

أحوال أنفس نفيس، للديار بكريّ: ٤٢٠/٢.

(١) ينظر كتاب الحوادث: ٣٤٧؛ وقد فصَّلنا ذلك فيما مضى.

(٢) مفردها سامِد. قال ابن منظور في لسان العرب: السامِد: الغافل واللاهي والغبي. (ينظر لسان العرب: (سمد)) .

(٣) كما يقول ابن كثير في البداية والنهاية: ٣٦٢/١٧.

كما لم يسمع بهذا الإجراء خطباءُ الجوامع الذين كانوا يشكِّلون المنابر الإعلامية القادرة حتى على إسقاط العروش، فما بالُك بوزير ضعيف ليس له من الوزارة سوى مظاهرها وتشريفاتها، ونخصّ بالذكر هنا القوة الهائلة للحنابلة الذين كانوا جماهير غفيرة في العاصمة بغداد، فضلاً عن وجود أئمة الجوامع وخطبائها الذين كان أغلبهم حنابلة ولهم نفوذ هائل على الشارع البغداديّ، ومنهم الشيخ محيي الدين يوسف ابن الجوزيّ الحنبليّ الذي كان قد تولَّى الحسبة ببغداد، وكان يعقد بها مجالس الوعظ[١]؛ ومنهم الواعظ ابن أخت أبي صالح الحنبليّ و«كان من كبار العلماء والأفاضل، «كان متشدِّداً في السُّنَّة يلعن أهل البدعة على منبر الوعظ»، ومنهم «الرافضة والمجوس»[٢].

إنّ انتقاء هذا العدد الكبير من قوات المغاوير ومنعهم من الإقامة ببغداد وأعمالها، بحاجة إلى ما لا يقل عن بضعة آلاف من الجنود والضباط ممن يعادلونهم في الكفاءة القتالية لتنفيذ عمليتي الانتقاء والنفي؛ إذ ربما اندلع قتالٌ عند امتناع أيِّ جندي أو ضابط من تنفيذ أمر الوزير. واليقينيّ أنّ الوزير ما كان لديه حتى ولا جندي واحد ليقوم بإصدار أوامره ولو إلى جندي واحد.

أخيراً، إنّ الخليفة والدويدار الصغير هما الوحيدان القادران على القيام بتسريح أيِّ عدد يريانه من الجنود، وليس ابن العلقميّ الذي كان يشغل منصباً سياسياً.

الحفر على الجماجم

كيف اتصل الوزير بالمغول؟ عندما حكموا على الوزير ابن العلقميّ بالخيانة، ابتكروا له طريقة للاتصال بالمغول؛ حيث يقول رواة هذه القصة إنّ ابن العلقميّ لما كان رافضياً (أي شيعياً إمامياً اثني عشرياً)، ورأى ما حلَّ من ظلم وانتهاكات بالسكان الشيعة في الكرخ عندما هاجمهم جيش الخليفة بقيادة الدويدار الصغير ونجل الخليفة سنة ٦٥٤هـ، دَفَعَ ذلك ابن العلقميّ إلى أنْ «يحقد» على أهل السُّنَّة ويفكِّر في الانتقام فـ«كاتَبَ التتارَ وأطمَعهم في البلاد وأرسل إليهم غلامَه وأخاه وسهَّل عليهم مُلْك العراق»[٣]. وكرّر

(١) ينظر ذيل مرآة الزمان: ٣٣٧/١.

(٢) تلخيص مجمع الآداب: ٩٨/٥ – ٩٩ (ط الكاظم).

(٣) مفرج الكروب: ٢١٥/٦.

هـذه الروايـة غيرُ واحد من أركان الرواية الشـاميّة/المصريّة[١]، ولكي لا تُكتشـف رسـائله التي سـيبعث بها إلى المغول فقد اسـتخدم المكر، حيث قام بحلق رأسـيهما حتى أصبحا أصلعين تماماً، ثم وشَـمَ الرسـالتين وَشْـماً بالإبر (Tattoo) على جلدتي رأسـيهما، وهذه التفاصيـل جاءت فيما بعد على لسـان الصفـديّ الذي قال:

«أخـذ رجـلاً وحلـق رأسَـه حلقـاً بليغـاً، وكتـب مـا أراد عليـه بوخـز الإبَـر كمـا يُفعل بالوَشـم، ونفـض عليـه الكحـل وتركـه عنـده إلى أنْ طلـع شـعره وغطّى ما كتـب، فجهَّزه وقـال إذا وصلـت مُرْهُم بحلْق رأسـك ودعهم يقرأون ما فيـه، وكان في آخر الكلام: قطِّعوا الورقـة، فضُربـت رقبتـه؛ وهذا غاية فـي المكر والخـزي»[٢].

والوشـم هـو أنْ تُسـتخدم إبـرة فـي الضرب برأسـها المدبَّـب جداً علـى أي موضع من الجلـد يُـراد أنْ يُكتب عليه أو يُرسَـم.

جماجم أم قدور نحاسية؟

ونجـد لـدى السـبكيّ أنّ تلكمـا الرسـالتين حُفِرَتـا حَفْـراً بحيـث غاصـت حروفهما في جمجمتـي الرسـولين، فيقـول: «صـار المكتـوبُ فيـه كلُّ حـرف كالحفـرة فـي الـرأس، ثم تركـه عنـده حتى طلع شـعرُه وأرسـله إليهم. وكان ممّـا كتبه على رأسـه: إذا قرأتم الكتابَ فاقطعوه، فوصل إليهم فحلقوا رأسَـه وقرأوا ما كَتَبَه، ثم قطعوا رأسَ الرسـول»[٣] ، أي أنّ المغـول بعـد قراءتهم الرسـالتين نفَّذوا ما أمرهم به فذبحوا غلامَـه وأخاه، وهذا يعني أنّ القلـم المسـتعمل فـي الحفـر على الجمجمتين لم يكـن تقليدياً كالريشـة أو القصبة التي تُغمـس فـي الحبـر ليكتب بها، بل كان آلـة معدنية حادة كإزميلِ حديـدٍ مثلاً، ممّا يمكنه الحفـر علـى الجمجمتيـن حَفْراً تصبح فيـه الحروف «كالحفرة في الـرأس»، وأنّ جمجمتي غـلام الوزيـر وأخيه قد تحمَّلتا بمعجزة حفـرَ الحروف فيهما حفراً، فهذه طريقة يمكن أنْ

(١) ومنهـم: اليونينـي فـي ذيل مرآة الزمـان: ٨٧/١؛ الذهبي في تاريخ الإسـلام: ٦٧١/١٤(ط معروف)، والعبر في خبر من غبر: ٢٢٥/٥؛ ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة: ٤٨/٧؛ ابن شـاكر في عيون التواريـخ: ١٣٢/٢٠، وفوات الوفيات: ٢٥٨/٢.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٥٢/١.

(٣) طبقـات الشـافعية الكبـرى: ٨/ ٢٦٢ – ٢٦٣، ويفترض السُّـبْكيُّ أن الرسـول واحـد، ورأينا آنفاً أنهما اثنـان: غلامه وأخوه.

يُحفر بها قِدْر نحاس لا جمجمة إنسان؛ لأن احتمال التهاب الجروح التي أحدثها الوشم والحَفر على الجمجمتين بالآلات الحادة وظهور تقيُّح أمر وارد، وسيؤدي إلى وفاتهما قبل أن يُبْلِغا المغول بالرسالتين.

وهكذا قام الوزير بإرسال أخيه ابن أُمِّه وأبيه كلّ تلك المسافة الطويلة من بغداد إلى منغوليا ليذبحه المغول، فذبحوه، ثم ذبحوا أحد غلمانه الذي كان قد أرسله في رسالة ثانية؛ لكي ينتقم - كما يقولون - بعد الغارة التي شنَّها جيش الخليفة وعوام بغداد على محلة الكرخ سنة ٦٥٤هـ، ثم ليطلب إلى المغول أنْ يُعيِّنوه بمنصب نائب للمغول في العراق؛ وهو منصب تافه لا يساوي شيئاً بإزاء منصب وزير الذي كان يشغله فعلاً في حكومة المستعصم. ولمّا كان هُولاگُو قد تحرَّك بجيشه منذ سنة ٦٥٠هـ بنيَّة غزو إيران والعراق والشام فمن المستحيل التصديق بهذه الرواية، ذلك أنّنا سنكون بحاجة إلى افتراض وجود شخص يكتب لهُولاگُو رسالة لدعوته لغزو العراق سنة ٦٥٠ حصراً.

وإنّ التفاصيل التي أوردتها رواية المؤرّخين البغداديّين عن الوقائع التي نقلناها فيما مضى لم تذكر شيئاً عن اتهام الوزير ابن العلقميّ بالخيانة؛ ذلك أنّ هذه التهمة كتبها فيما بعد مؤرّخو الرواية الشاميّة/المصريّة بدافع من تعصّبهم المذهبيّ.

برغم كلّ ذلك، انتشرت هذه الإشاعة انتشاراً مذهلاً حتى أصبح الخلف ينقلها عن السلف؛ لكونهم ثقات ولا يجوز الطعن بعدالتهم، بل إنّ بعض الكتّاب ينقل ما سُمِّي بخيانة ابن العلقميّ نقل البديهيات؛ وربّما خاف أحدُهم إنْ شكَّك فيها أنْ يُتَّهم هو بالخيانة والتواطؤ مع ابن العلقميّ، وقد نقلها جمعٌ من معاصرينا فدلَّلوا على عدم رصانتهم في البحث العلميّ.

ولأن هذه القصة لا يمكن تصديقها بسبب الطريقة التي قيل إنّ ابن العلقميّ كتبَ بها رسائله إلى هُولاگُو (طريقة حفْر الحروف على الجماجم)، فقد امتنع عن نقْلها من معاصرينا بعضُ مَن اتَّهموا الوزير ابن العلقميّ بالخيانة واكتفوا بتوجيه التهمة فقط بالقول إنّه اتصل بالمغول ودعاهم إلى غزو العراق؛ مع ذكر مصادرهم في الهامش، والواضح أنهم أحسُّوا بخرافية الطريقة وخشوا سخرية القرّاء. وممّن ذكر اتصال الوزير بالمغول وامتنع عن ذكر الطريقة: الدكتور الباز العرينيّ في كتابه المغول؛ والدكتور فؤاد

الصيّاد في كتابه المغول في التاريخ؛ والدكتور راغب السرجانيّ في كتابه قصة التتار من البداية إلى عين جالوت. وكان طبيعياً أنْ يمتنع السرجانيّ عن نقل واقعة حفر الرسائل على الجماجم بسبب كونه طبيباً ويعلم استحالة أنْ يبقى الإنسان حياً بعد أن تُحفر جمجمته حفراً بإزميل لكتابة رسالة كلّ حرف من حروفها «كالحفرة في الرأس»، ممّا نقلناه من السبكي، حيث تتقيّح الحُفر ويتورَّم رأسا «كبشي الفداء»[١] اللذين كان عليهما - فوق كلّ ذلك - أنْ يقطعا مسافة آلاف الكيلومترات من بغداد إلى قراقورم عاصمة المغول.

ومع ذلك وجدنا أحد الكُتَّاب المعاصرين وهو الدكتور المشهدانيّ قد ابتكر عبارة طريفة لمعالجة الموقف، فبعد أنْ ذكر الطريقة التي قيل إنّ ابن العلقميّ اتصل بها بالمغول بكتابة الرسالة على الجمجمة (سواء أكانت بالوشم بالإبر أو الحفر بالإزميل)، خَشِيَ عاقبة ذلك، فقال: «ولا يهمنا طريقة اتّصاله بالمغول، ولكن يهمنا هنا آراء المؤرّخين وما ذكروه في هذا الشأن»[٢]. وعلى هذا فإنّ مجرد ذكر قائمة طويلة بأسماء رواة هذه الرواية من المؤرّخين الشاميّين المصريّين بطريقة ما أسميناه «القفز على رؤوس المؤرخين» كافٍ لإثباتها على الرجل حتى لو كان مضمون الرواية سوريالياً خرافياً أو ممّا يرفضه العقل السليم.

أمّا السيّدة خطابي فبعد أنْ أوردت قول الذهبيّ إنّ الوزير أرسل إلى المغول غلامه وأخاه من غير أنْ تذكر عملية «حفر الرسائل على الجماجم»، التقطت قول الدكتور المشهدانيّ «ولا يهمنا طريقة اتّصاله بالمغول...»، وكرّرته بالصيغة الآتية: «ومهما كانت الطريقة التي كاتب بها ابن العلقميّ التتار أو الشخصيات الذين بعثهم إليهم، فهو أمر ليس بمهم بقدر ما هو أهم؛ إنه فعلاً حرَّضهم وساعدهم»[٣].

فإذا كنّا لا نعلم الطريقة التي اتصل بها ابن العلقميّ بالمغول، بل ولا يهمنا ذلك - كما يقول هذان الباحثان - فكيف أمكنهما تثبيت هذه التهمة عليه ومحاكمته؟

(١) كما ذكرت هذه الرواية فقد كانا غلامه وأخاه.

(٢) في محكمة التاريخ: ابن العلقمي والطوسيّ: ٢٤ .

(٣) الخليفة المستعصم بالله وسقوط بغداد: ٥٩.

وصمة «الرافضيّ»

كان الذين يتهمون الوزير بالخيانة يحرصون عند ذكره أنْ يلمزوه ويُتبِعوا اسمه بكلمة «الرافضيّ»، بل إنّ الذهبيّ ذكره مرةً بنسبتَي «الشيعيّ الرافضيّ» معاً[١].

والهدف من ذلك إثارة المشاعر ضدَّه لكي يُلعَن، وأنْ تُطبَّق عليه الأحكام القاسية الواردة لدى التكفيريين بحقّ «الرافضة» وهم الإماميّة الذين يقولون إنهم أتباع مذهب أهل بيت الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وإنّ مَن يلصق بهم صفة الرافضة يقصد أنهم «مبتدِعة»، حيث يقول الهيتميّ: «إنّ الرافضة والشيعة ونحوهما من أكابر أهل البِدعة»[٢]، والمبتدع تجوز غِيبته والكذب عليه، إذ يقول ابنُ الصلاح الشافعيّ: «تجوزُ غِيبةُ المبتدِع، بل ذِكْرُه بما هو عليه مطلقاً، غائباً وحاضراً؛ إذا كان المقصود التنبيه على حاله ليحذروا. على هذا مضى السَّلَفُ الصالحون أو مَن فَعَلَ ذلك منهم؛ ثم يجوز ذلك ابتداءً يَبتدئُ به وإنْ لم يُسأل، ويجوز عند جريانِ سببٍ من سؤالٍ وغيرِه»[٣].

وقد نقلنا فيما مضى رأي الدكتور سعد الغامديّ في أنّ هذه الاتهامات وُجِّهت للوزير بسبب التعصّب المذهبيّ.

أصل إشاعة خيانة الوزير

في أواخر عهد الخليفة المستعصم وفي سنة ٦٥٤هـ، تزامن اضطراب الأوضاع الأمنية والاقتصادية والدمار الذي حلَّ بالعراق آنذاك، مع خبر وجود مؤامرة يقودها القائد العام للقوات المسلحة العباسيّة الدويدار الصغير لخلع الخليفة وإحلال آخر محله ذُكر أنه سيكون نجله الكبير[٤].

ونُسِبَ إلى الوزير أنّه كان يريد قتلَ الوزير أولاً، ثم الخليفة، وقد ذكر المؤرّخون أنَّ مَن أخبر الخليفة بخبر المؤامرة اثنان، هما الوزير ابن العلقميّ، والقائد العسكريّ فلك الدين نجل علاء الدين أَلْطِبَرْس «وكتبَ الوزيرُ إلى الخليفة بما تخوض الناسُ فيه،

(١) ينظر تاريخ الإسلام: ٨٤١/١٤ (ط معروف).

(٢) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، لابن حجر الهيتمي: ١٠/١.

(٣) فتاوى، لابن الصلاح: ٤٩٧/٢. وابن الصلاح هو عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشافعي (٥٧٧ – ٦٤٣هـ).

(٤) ينظر كتاب الحوادث: ٣٣٦.

وأشار بمؤاخذةِ جماعةٍ ليرتدع بهم غيرهم»؛ أمّا الدويدار الصغير «فأزعجه ذلك وأعدَمَه القرار، وأنكره غاية الإنكار؛ ثم إنه استوحش من الوزير استيحاشاً فخاف على نفسه وجَمَعَ عساكرَه ولبسوا السلاح وباتوا عنده...، وكذلك خاف أصحابُ الوزير ومماليكُه وخَدَمُه وباتوا تلك الليلة مستعدِّين»[١]. وهكذا توتَّرت الأجواء وحمل جنود الدُّوَيْدار الصغير الأسلحة وتأهبوا للقتال، كما خاف الوزيرُ ومماليكُه وخدمُه.

ويفسِّر رشيد الدين ذلك بأنّ مجاميع ممّن نسمّيهم اليوم «عصابات الجريمة المنظَّمة» كانوا مرتبطين بالدويدار الصغير ممّا شكَّل مصدر قوَّته في الشارع البغداديّ، فقال في حوادث سنة ٦٥٤هـ: «ازدادت جرأة الشطّار ومثيري الفتن والسفلة والأوباش فمارسوا السلب والاعتداءات، وكانوا يغتصبون كلّ يوم شيئاً من الناس الأبرياء، وكان مجاهد الدين الدويدار يحتضن بنفسه السفلة والأوباش، فصار في مدة وجيزة صاحب شوكة وبأس، ولمّا لمس في نفسه القوة ورأى الخليفةَ المستعصمَ عاجزاً لا رأي له ولا تدبير وساذجاً اتَّفَقَ مع طائفةٍ من الأعيان على خلعِه وتنصيبِ خليفةٍ آخرَ من الأسرة العباسيّة أيضاً في مكانه، وعندما علم مؤيد الدين ابن العلقميّ نبأ تلك المؤامرة أخبر الخليفة على انفراد قائلاً: يجب تدارك أمرهم»[٢].

وقد اجتمع الدويدار بالخليفة وأنكر ما نُسب إليه واتَّهم ابنَ العلقميّ بتهمة الاتصال بهُولاگُو بقوله: «إنّ سعايته في حقّي، إنّما هو لدفع هذه التهمة عن نفسه، وإنه عدوّ الخليفة؛ فهو يتبادل مع هُولاگُو خان الجواسيس»[٣]. ثم إنَّه أي الدويدار الصغير بعد خروجه من اجتماعه مع الخليفة «وعلى سبيل المكابرة جمع كثيراً من غوغاء بغداد وأوباشها بهدف مهاجمة الخليفة وكانوا يلازمونه ليلَ نهار. فخاف الخليفة وجمع عسكراً لصَدّ هجومه»[٤].

وهكذا حدث توتُّر خطير في العلاقة بين «المستوى السياسيّ» للدولة بقيادة الوزير

(١) العسجد المسبوك: ٦١٦؛ وينظر كتاب الحوادث: ٣٣٦.

(٢) جامع التواريخ: ٦٩٨/٢ (الطبعة الفارسية)، ٢(١)/٢٦٢ (الترجمة العربية).

(٣) جامع التواريخ : ٦٩٩/٢ (الطبعة الفارسية): ٢(١)/٢٦٣ (الترجمة العربية).

(٤) جامع التواريخ: ٦٩٩/٢. وتتفق الرواية الشاميّة/المصريّة في خطوطها العامة مع الرواية البغداديّة بشأن هذه المؤامرة (ينظر: تاريخ الإسلام: ٢٤/٤٨).

ابن العلقميّ «الشيعيّ»، و«المستوى العسكريّ» بقيادة القائد العام للقوات المسلحة الدُّوَيْدار الصغير «الحنبليّ»، ونظراً لقوة قائد الجيش فقد ظلّ الخليفة خائفاً منه يسترضيه بشتّى السبل إلى أنْ هدأ واشترط على الخليفة شروطاً لبَّاها له جميعاً[1].

وهكذا كان الدويدار الصغير هو أول مَن أطلق إشاعة أنّ الوزير ابن العلقميّ كان يتصل بالمغول انتقاماً من الوزير الذي كان قد أخبر الخليفة بأنّ الدويدار يُعِدُّ مؤامرة لخلعه من الحكم.

الدعوى المنتظرة

للأديب الكبير والمفكّر الراحل عباس محمود العقّاد كلامٌ ارتقى فيه عالياً سماوات الإبداع في تعريفه ما سمَّاه الدعوى المنتظرة، قال فيه:

«الدعوى المنتظرة هي أقوى الدعاوى، وهي كذلك - ومن أجل ذلك - أضعفها وأولاها بالتشكُّك والمراجعة. والمقصود بالدعوى المنتظرة كلُّ دعوى تمليها البواعث النفسية أو البواعث السياسية والاجتماعية، وهي قوية لأنها لا تأتي عفواً ولا يكتفي المدَّعون فيها بإبدائها وترك السامعين وشأنهم في قبولها أو إعراض عنها، بل هم يدَّعونها ويحتالون على إيرادها موردَ الصدق وتمثيلها في صورة الكلام السائغ المحقَّق، ثم يكرّرونها ويلحُّون في تكريرها، ويتحيَّنون الفرص لنشرها في مظانّ الإصغاء إليها والرغبة في إثباتها.

وإذا كانت البواعث التي تمليها متعددة متجددة، كان ذلك خليقاً أنْ يزيدها قوة على قوة وإلحاحاً على إلحاح؛ فهي تتوارد من جهات كثيرة وترجع إلى الظهور كرةً بعد أخرى كلّما خِيف عليها أنْ تضعف كلّما تعاظم الرجاء في التحدث بها والالتفات إليها.

إنَّ الدعوى المنتظرة قوية من أجل هذا.

وهي من أجل هذا بعينه ضعيفة متَّهَمة؛ لأنّ البواعث التي تمليها تُريب السامع حين تنكشف له، وقد يكون الإلحاح فيها مشكِّكاً لمَن يسمعها، وكاشفاً للغرض والهوى من ورائها.

(١) ينظر: كتاب الحوادث: ٣٣٧ - ٣٣٩؛ العسجد المسبوك: ٦١٦ - ٦١٧.

وإذا تعـدَّدت البواعـث كان ذلـك أحـرى أنْ يسـوق التناقـض والاختلاط إلـى الروايات والأقاويـل، فـلا يتَّفـق مروِّجوها على اختراعها ولا على نقلهـا؛ ومَن لم يكن منهم مخترعاً لروايته لم يُجهِد ذهنَه في التوفيق بين النقائض والتقريب بين الأسانيد، فتُصاب الدعوى بالضعف من جـرَّاء تعدد البواعث»[١].

وإنّ القارئ للرواية الشـاميّة/المصريّة الخاصّة بخيانة الوزير ابن العلقميّ سيكتشـف أنّ صفـات «الدعـوى المنتظـرة» تنطبـق عليها انطباقاً مدهشـاً، وكأنّ المفكـر العقّاد كان يعنيهـا دون غيرها تحديداً.

بداية مفتوحة النهاية

كان المؤرّخ أبو شامة الذي عاصر الغزو المغوليّ قد أورد هذه الإشاعة بسطر صغير: «اسـتُوليَ علـى الخليفـة وأهلِه بمكيـدةٍ دُبِّرت مع وزير بغداد»[٢]، ولمّا لم يكن أبو شـامة آنذاك يعيش في بغداد وإنما في دمشـق، كان ينبغي له أنْ يذكر المصدر الذي نقل إليه هـذا الكلام، لكنه لم يفعل.

هذا السـطر يشـكِّل الأسـاس الذي قامت عليـه الرواية الشـاميّة/المصريّة، وسـيواصل نمـوَّه ليصبح رواية مشـحونة بتفاصيـل تتجدَّد دوماً؛ إذ كان مؤلِّفوهـا يتعهدونها على مرّ القـرون بالزيـادة والتعديـل والحـذف (إنهـا الدعـوى المنتظـرة)، وطوَّرها في بلاد الشـام مؤرِّخـو الحلقـة المحيطة بالشـيخ ابن تيمية الحنبليّ من أمثـال الذهبيّ الحنبليّ[٣] ، وابن كثيـر الحنبليّ، والسـبكيّ، الشـافعيّ، حتى رسـخت فـي أذهان المؤرّخيـن اللاحقين وفي أذهـان القـرّاء إلـى درجـة أنّ أحـداً لـو أراد أنْ يتفحّـص هـذه الروايـة أو أحـد أجزائها عُدَّ مشـكّكاً بروايـة ثقـات المؤرّخين الكُثْر الذيـن تناقلوها أزماناً طويلة، وقـد يُتَّهم بالخيانة؛ لأنّـه يريـد أن يدافع عن الذين خانوا الإسـلام.

(١) فاطمة الزهراء والفاطميون، للعقاد: ٦٧ .

(٢) المذيَّـل علـى الروضتيـن، لأبـي شـامة: ١٢٥/٢؛ النص بتمامه لـدى اليونيني في ذيل مـرآة الزمان: ١٢٢/١.

(٣) ينظر في مقدمته لتاريخ الإسـلام (٦١/١)، يقول الدكتور بشـار عواد معروف عن الذهبي إنه «كان حنبلي العقيدة قد أثَّرت فيه البيئةُ الدمشـقيةُ وصحبتُه لشـيخ الإسلام ابن تيمية».

بحدود ما وصلنا من مصادر مخطوطة أو مطبوعة حتى الآن فإنّ المؤرّخ الشاميّ ابن واصل الشافعيّ (٦٠٤ – ٦٩٧هـ)، هو ثاني مَن أورد الحكاية التي ادَّعت خيانة ابن العلقميّ.

ثم نجدها بعد ذلك لدى اليونينيّ الحنبليّ (٦٤٠ – ٧٢٦هـ).

ثم ابن الجزريّ (٦٥٨ – ٧٣٩هـ).

ثم الذهبيّ الحنبليّ العقيدة (٦٧٣ – ٧٤٨هـ).

ثم ابن كثير الحنبليّ العقيدة أيضاً (٧٠١ – ٧٧٤هـ).

ثم السبكيّ الشافعيّ (٧٢٧ – ٧٧١هـ). ونجدها بعد ذلك في روايات بقيّة مؤرّخي هذه الرواية من شاميّين ومصريّين وآخرين من جنسيات مختلفة.

ثم إن هؤلاء المؤرّخين اتفقوا بأسرهم على قول واحد هو أنّ الوزير إنما فكَّر بالخيانة بعد تأريخ محدد بعينه هو سنة ٦٥٤هـ، وهي السنة التي استباح بها الجيش العباسيّ محلة الكرخ الشيعية.

استباحة الكرخ

في ذي الحجة من السنة نفسها (٦٥٤هـ)، وبعد سبعة أشهر ونصف على خبر مؤامرة الدويدار الصغير قُتِلَ رجل من أهل محلة قطفتا التي «كانت مَبَاءة للحنابلة»[١]. وبدل القول إنّ شخصاً واحداً فقط من أهل الكرخ قتل رجلاً من أهل قطفتا وهو ما ذُكر في نهاية المطاف، نُشر الخبر بصيغة «قَتَلَ أهلُ الكَرْخ رجلاً من أهل قطفتا»[٢]، وبذلك صار أهل الكرخ بأسرهم مشاركين في قتل الرجل ممّا أدى إلى إثارة المشاعر ضدّهم وتحميلهم مسؤولية جماعية، ومن المعلوم أنّ «أهل الكَرْخ كلّهم شيعة إمامية لا يوجد فيهم سُنِّيٌّ البَتَّة»[٣]، ومعلوم أيضاً أنّ هذه المحلة ظلَّت منذ تأسيس بغداد مزدحمة

(١) تعالیق جواد على تلخيص مجمع الآداب: ٤(١)/٦٣٤، وقال إن محلة قطفتا «هي المحلة المجاورة لمقبرة الشيخ معروف الكرخي من الشرق في أرض الفلاحات والحصّانة». والمباءة هي المنزل.

(٢) كتاب الحوادث، ٣٣١؛ وينظر العسجد المسبوك: ٦٢.

(٣) معجم البلدان : ٤/٢٥٥.

بالتجار وأموالهم وتجاراتهم، قال مسكويه: «هي مجمع الشيعة ومعظم التجار»[١].

وكما تقول الرواية البغداديّة، فإنه «دخلَ جماعةٌ من الخَدَم إلى الخليفةِ وعرَّفوه وعظَّموا ذلك ونسبوا إلى أهل الكَرْخ كلَّ فساد، فأمرَ برَدْعِهم؛ فركب الجند إليهم وتبعهم العوام ونهبوا محلة الكَرْخ وأحرقوا عدة مواضع وسبوا كثيراً من النساء والعلويَّات الخَفِرات، وسفكوا الدماء وعملوا كلَّ منكر، وكان الجندُ والعوام يتغلَّبون على مَن قد نَهَبَ شيئاً فيأخذونه منه[٢]، وعظمت الحالُ في ذلك، فخوطب الخليفةُ في أمرهم، فأمرَ بالكفِّ عنهم ونوديَ بالأمان»[٣].

وأخيراً وبعد خروج الأوضاع عن السيطرة تماماً، انتبه الخليفة إلى عمق الكارثة التي أحدَثها أمرُه بـ«ردع أهل الكرخ»، وأصدر أمراً بوقف الهجوم، لكن هذا الأمر جاء بعد فوات الأوان وحدوث القتل الرهيب وسبي النساء على أيدي جنود الخليفة الذين كانوا بلا رواتب لشهور وكانوا يشحذون قوت يومهم على أبواب الجوامع والبيوت.

وهكذا نُفِّذ أمر الخليفة الحنبليّ بأيدي الجنود الذين قادهم الدويدار الصغير الحنبليّ «وتبعهم العوام» أيضاً. والمعروف أنّ السواد الأعظم للعوام في بغداد هم من الحنابلة الذين قال عنهم ابن كثير إنهم «الرَّعاع من عوامّ الحنابلة»[٤]، وسمَّاهم الذهبيّ «عوامّ الحنابلة»[٥]؛ وكانوا أهمّ التجمعات الضاغطة والمؤثرة طوال قرونٍ في حياة المجتمع البغداديّ، إذْ «كانوا لا يُحصَون كثرةً ببغداد»[٦]، وكان الغالب في بغداد ونواحيها هو مذهب الإمام أحمد مع اشتداد شوكة أتباعه[٧]؛ وكان المؤرّخ الهلال الصابي قد قال قديماً عن مسجد بَنَوه: «كان الحنابلة بَنَوا مسجداً، وجعلوه طريقاً إلى المشاغبة والفتنة»[٨]، وكان هؤلاء موجودين على الدوام في الشارع لتنفيذ أي أمر

(١) تجارب الأمم : ٣٥١/٦؛ ينظر أيضاً: الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٦١٩/٨.

(٢) أي أن اللصوص كانوا يتنازعون المنهوبات فينهب بعضَهم بعضاً أيضاً لزيادة غنائمهم.

(٣) كتاب الحوادث: ٣٣١؛ ينظر أيضاً العسجد المسبوك: ٦٢١.

(٤) البداية والنهاية : ٨٤٩/١٤ (ط التركي). وفي (طبعة شيري): «عوامّ الحنابلةِ ورَعَاعهم» (١٦٧/١١).

(٥) تاريخ الإسلام: ٣٤١/١١ (ط معروف).

(٦) ينظر: الكامل في التاريخ: ١٣٤/٨؛ مرآة الزمان: ١٠٢/١٣.

(٧) ينظر : مرآة الزمان: ١٠٢/١٣، ١٠٩: فتنة واشتباكات دامية بين الحنابلة والشافعية سنة ٤٦٩هـ.

(٨) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، لهلال الصابي: ٣٦٢.

كالذي أصدره المستعصم، حيث ينطلقون لمهاجمة الأحياء التي فيها أهل البدع أو الروافض أو أتباع بقية المذاهب، ثم يعودون محمَّلين بالغنائم والأموال والسبايا من النساء والفتيات للاعتداء عليهنّ أو لسبيهنّ ، وكان هؤلاء ينتصرون في جميع غزواتهم؛ لأنهم يهاجمون مدنيّين مسالمين جالسين في بيوتهم أو في محلات أعمالهم، فيغيرون عليهم ويجردونهم من كلّ شيء بتلذذ ونشوة، ويدَّعون أنّهم يؤدِّبون بعملهم هذا «أهل البدع» المارقين من الدين ممّن يخالفونهم. وقد فصَّلت الرواية الشاميّة/المصريّة تفصيلاً وافياً الانتهاكات الخطيرة التي تمَّت في عملية استباحة محلة الكرخ[١].

ولنضرب مثلاً – وهو متقدِّم تاريخياً على ما نحن فيه – لما كان يصدر من هؤلاء العوام المتعصّبين الجَهَلة في غالبيتهم، وكان قد حدث في بغداد أيضاً؛ فمن ذلك أنّ الشيخ عبد السلام الحنبليّ حفيد الشيخ عبد القادر الجيلانيّ حُكِمَ بفسقه سنة ٥٨٨هـ، وأُحرقت الكتب التي في مكتبته، عندما استُدعي أيام الوزير الحنبليّ أبي المظفّر ابن يونس وبحضور «العلماء والفقهاء والقضاة والأعيان»، إذ كَبَسوا داره وأخرجوا ما فيها من كتب، وأحرقوها في حفل حنبليّ صاخب بحضور العوام، حيث أُضرمت نارٌ على سطح أحد المساجد وأُلقيت فيها الكتب، وكان أبو الفرج ابن الجوزيّ حاضراً يراقب تلك العملية من على سطحِ مسجدٍ مجاور للمسجد الذي أُحرقت فيه الكتب؛ وعُيِّن ابن المارستانية الحنبليّ لأداء هذه المَهمة «وكان يُخرج الكتب التي له كتاباً كتاباً فيتكلّم عليه ويبالغ في ذمه وذمّ مصنِّفه، ثم يلقيه مِن يده لمَن يلقيه في النار»[٢]، ثم يصيح: «ألعنوا مَن كَتَبَه ومَن يعتقدُه، فيضجُّ العوام باللعن، وتعدَّوا إلى الشيخ عبد القادر وإلى الإمام أحمد رحمة الله عليه»[٣].

وإنّ لعن ذلك الجمهور الحنبليّ للإمام أحمد بن حنبل وهو الشخصية المقدسة الأولى في المذهب، ولعنهم الشيخ عبد القادر الجيلانيّ وهو من مفاخر ذلك المذهب،

(١) يمكن مراجعة ما كتبناه بهذا الشأن في كتابنا إعادة كتابة التاريخ، الغزو المغولي للعراق أنموذجاً: ٧٩ – ٨٧.

(٢) تاريخ الحكماء، للقفطي: ٢٤٩؛ وينظر تاريخ مختصر الدول: ٤١٥.

(٣) مرآة الزمان: ١٤/٤٠٤ – ٤٠٥، وفي ٢٢/٥ (ط الرسالة العالمية)؛ و ينظر المذيل على الروضتين: ١/١٧٨: «وتعدَّى اللعن إلى الشيخ عبد القادر وأحمد بن حنبل»؛ والنص أيضاً في الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب: ٣/١٥٣ – ١٥٦؛ وشذرات الذهب لابن العماد: ٧/٨٥.

دال على أنّهم حين تنتابهم هستيريا الهياج الرَّعاعيّ يكفرون بجميع ما يعلنون أنهم يلتزمون بتقديسه، فإذا كان تعاملهم مع الشخصيات المقدسة بهذه الصورة المهينة فلنا أنْ نتصوّر كيف سيكون تعاملهم مع مَن يسمّونهم أهل البدعة من أتباع بقية المذاهب وخصوصاً مَن حكموا بكفرهم.

ويمكن أنْ يكون هجوم الجيش العباسيّ بقيادة الدويدار الصغير ونجل الخليفة بتلك القسوة المفرطة على الكرخ، انتقاماً من الوزير الذي أثار مسألة تآمر الدويدار الصغير على الخليفة في العام نفسه؛ حيث استغلّ الدويدار الصغير حادثة القتل تلك لتأديب سكّان الكرخ الشيعة الذين ينتمي إليهم الوزير مذهبياً، بل كان يسكن فيه أيضاً أقارب الوزير على ما ذُكر، وسنستعين هنا بالرواية الشاميّة/المصريّة لأنها نصَّت على دور خطير للدويدار الصغير وأحد أنجال الخليفة في استباحة الكرخ، حيث قال ابن واصل: إنّ فتنة حدثت بين أهل باب البصرة وأهل الكَرْخ، «فشكا أهل باب البصرة[١] ذلك إلى ركن الدين الدواة دار والأمير أبي بكر بن الخليفة، فتقدَّما إلى الجُنْد بنهب الكَرْخ فهجَموا[٢] الكَرْخَ، وقَتَلوا ونهبوا وهجموا على النساء وارتكبوا فيهنَّ العظائم»[٣]. ولخَّص المكين جرجس ذلك بالقول: «إنّ الخليفة المستعصم بالله أمر بنهب الكَرْخ وجميعه من شيعة عليّ بن أبي طالب، فنهبهم العوام وأخذوا أموالهم وجميع نعمتهم ونسوانهم وأولادهم، وأباعوا بناتهم»[٤].

اتفقت الرواية الشاميّة/المصريّة مع الرواية البغدادية على أنّ استباحة الكرخ على أيدي عوام بغداد الحنابلة وجنود الجيش العباسيّ الذين كانوا يُحرمون في العادة من رواتبهم ومخصّصاتهم ويعانون شظف العيش بسبب بخل الخليفة وإهماله لهم، ارتُكبت فيه فظاعات وجرائم، وقد دوَّن شطراً من تلكم الجرائم كُتَّاب الرواية الشاميّة/المصريّة أيضاً، لكنهم – ولكي يخفّفوا من وقع الأمر الذي أصدره الخليفة ونفَّذه الدويدار الصغير

(١) كانت باب البصرة محلة سُنِّية.

(٢) هَجَمَهُ: دمَّره بتمامه. وفي لسان العرب: «انهجمَ: انهدمَ؛ انهجمَ الخباءُ: سَقَطَ». وهو مستعمل في العامية العراقية اليوم، إذا دعوا بالشرِّ على أحدهم قالوا له: اِنْهِجَمْ بيتك.

(٣) مفرج الكروب: ٢١٤/٦.

(٤) أخبار الأيوبيين، للمكين جرجس: ١٦٧. أباعوهم بناتِهنم: عرضوهنَّ للبيع. أبعْتُهُ إباعَةً: عَرَضْتُهُ للبيع.

- وكلاهما حنبليّ - وكذلك العوام الذين هاجموا الكرخ وكان سوادهم الأعظم حنابلة، حذفوا غالباً واقعة مقتل الشاب القطفتيّ، وقالوا إنّه حدثت فتنة كسائر الفتن التي كانت تندلع بين حين وآخر بين السنة والشيعة.

كان ابن واصل أول مَن حرَّف النصّ البغداديّ الذي وصله، فلم يذكر مقتل الشاب من أهل قطفتا، بل قال إنّ فتنة ممّا يحدث دائماً بين السنة والشيعة، كما حذف اسم الخليفة والأمر الذي أصدره بـ«رَدْع» أهل الكرخ، واكتفى بالقول «فاتفق أنّه وقع بين الفريقين محاربة كما جرت بها العادة. فشَكَا أهلُ باب البصرة ذلك إلى ركن الدين الدواة دار والأمير أبي بكر بن الخليفة فتقدما إلى الجُند بنهب الكرخ، فهجموا الكرخَ وقتلوا ونهبوا وهجموا على النساء وارتكبوا فيهنَّ العظائم». ثم عقَّب بالقول: «فشكا أهل الكرخ ذلك إلى الوزير مؤيد الدين، فأمرَهم بالكَفّ والتغاضي عن ذلك، وأضمر هذا الأمر في نفسه وحصل عنده بسبب ذلك الضغن على الخليفة»[(١)].

وستصبح رواية ابن واصل هي المعتمدة لدى مؤرّخي الرواية الشاميّة/المصريّة، حيث يُحذف خبر مقتل الشاب القطفتيّ، ويُقال بدل ذلك إنّ الواقعة كانت فتنة بين السنة والشيعة، وكان الهدف من هذا التحريف هو تبرئة الخليفة من تحمّل مسؤولية المجازر التي ارتُكبت بحق سكّان الكرخ الشيعة عقب مقتل شاب واحد كان ينبغي أنْ يُبحث عنه ويُقدَّم للمحاكمة، فإنْ ثبتت التهمة عليه عوقب لوحده بدلَ أنْ تُستباح محلة غاصَّة بالسكّان المدنيين المسالمين وتُسبى نساؤهم.

توالى نقل المقطع الأخير الخاصّ بابن العلقميّ من ابن واصل وأنّه «حصل عنده الضغن على الخليفة»، على ألسن كتَّاب الرواية الشاميّة/المصريّة بصورة واسعة - مع بعض الزيادة أو الحذف أو التعديل - للقول إنّ اتصال ابن العلقميّ بالمغول كان عملاً انتقامياً لما ارتُكب بحقّ أهل الكرخ سنة ٦٥٤هـ؛ وكان من هؤلاء: اليونينيّ وأبو الفداء وابن كثير وابن شاكر والذهبيّ[(٢)] وآخرون.

(١) مفرج الكروب: ٢١٤/٦.

(٢) وكان الذهبيّ قد روى أولًا خبر مقتل الشاب القطفتيّ (تاريخ الإسلام: ٢٣/٤٨)، لكنه عاد ليروي رواية ابن واصل المحرَّفة.

لكنهم طوال قرون متمادية غفلوا عن أمر في غاية الأهمية:

رقمٌ واحدٌ أَسْقَطَ «الدعوى المنتظرة»

قال كتّاب الرواية الشاميّة/المصريّة إنّ اتصال ابن العلقميّ بالمغول تمَّ بعد استباحة محلة الكرخ في آخر سنة ٦٥٤هـ ؛ كما قال الذهبيّ: «كان الذي حَمَله على مكاتبة العدو عداوة الدويدار الصغير وأبي بكر ابن الخليفة، وما اعتمداه من نهْب الكرخ، وأذية الروافض، وفيهم أقاربُ الوزير وأصدقاؤه وجماعةٌ علويين»[1] . وعليه، فينبغي أنْ يكون تحرّك الجيش المغوليّ قد تمَّ بعد ٦٥٤هـ، أي بعد أنْ وجَّه ابن العلقميّ الدعوة لهم. لكنّنا نعلم يقيناً أنّ الأمر بغزو العراق صدر في البلاط المغوليّ سنة ٦٤٩هـ، وأنّ المغول كانوا قد تحركوا بجيشهم منذ سنة ٦٥٠هـ (قبل ٤ سنوات من استباحة الكرخ) بناءً على أمر أصدره منكو قاآن لأخيه هُولاكُو من غير أنْ يتصل بهم وزيرٌ أو أمير.

الغريب أنّهذه الغفلة شملت أيضاً بعض كتّابنا المعاصرين من متابعي الرواية الشاميّة/المصريّة، فوقعوا في فضيحة علمية لا تُغتفر.

اجتماع هيئة أركان الجيش العباسيّ

إنما سنتكلّم على هذا الاجتماع لكون جمع كبير من كتّابنا المعاصرين من عرب وغير عرب استندوا إليه، وخرج كثير منهم بنتائج ليست موجودة فيه.

كان الدويدار الصغير وبقية القادة العسكريّين قد اكتفوا برفض المقترح الذي تقدم به الوزير ابن العلقميّ بإرسال التحف والهدايا إلى هُولاكُو للتمهيد لفتح باب التفاوض على حلٍّ ما وهو ما يزال قرب همذان في إيران وقبل أنْ يدخل الأراضي العراقية، لكن الدويدار والقادة لم يقدِّموا حلاً آخر.

أمّا هُولاكُو فقد واصل تقدّمه باتجاه بغداد من جانبها الشرقيّ (الرصافة)، حيث عسكر على شاطئ نهر حلوان (داخل الأراضي العراقية) في ٩ من ذي الحجة سنة ٦٥٥هـ، ومكث حتى ٢٢ من ذلك الشهر، ثم تحرك ليصل خانقين وغادر منها باتجاه بغداد، فوصل أسوارها في ١١ من المحرم سنة ٦٥٦هـ، والواضح من كلام القائد العباسيّ

(١) تاريخ الإسلام للذهبي: ٢٩١/٤٨.

سليمان شاه الذي سيأتي بعد قليل أنّ المغول وصلوا فعلاً وطوقوا بغداد من جانبيها، حيث نزل هُولاگُو بجيشه في جانبها الشرقيّ؛ أمّا جانبها الغربيّ (الكرخ)، فقد سقط عسكرياً في ٩ من المحرم سنة ٦٥٦هـ بيد القائد المغوليّ بايجو نويان وقواته.

هنا بادر كبار قادة الجيش العباسيّ أو هيئة أركان القوات المسلحة إلى عقد اجتماع في بيت الوزير ابن العلقميّ لمناقشة الموقف، فلنقرأ مجريات هذا الاجتماع:

«اجتمع عند الوزير أمراءُ بغداد وعظماؤها مثل سليمان شاه بن بَرْچَم وفتح الدين بن كره ومجاهد الدين الدواتدار الصغير (وهؤلاء الثلاثة هم أعلى الرتب العسكرية في الجيش العباسيّ)، وأطلقوا ألسنتهم بقَدْح الخليفة وطعْنه قائلين: إنه صديق المطربين والمساخرة وعدوّ الجيوش والجنود، وإننا أمراء الجيش بِعنا كلّ ما ادَّخرناه في عهد والده (المستنصر).

وقال سليمان شاه [بن بَرْچَم الأيوائيّ][(١)]: إذا لم يُقْدِم الخليفة على دفع هذا الخصم القويّ ولم يبادر إلى طلب العون والمساعدة[(٢)]، فسيتغلَّب جيش المغول عن قريبٍ على بغداد، وحينئذٍ لا يرحمون أيَّ مخلوق، كما فعلوا بسائر البلاد والعباد، فلا يبقون على أيّ شخص من الحَضَر كان أو من البَدو، قوياً كان أو ضعيفاً، وسيخرجون ربَّات الخُدور من ستر العصمة، ولو أنّ المغول لم يُحدقوا بجميع الجهات[(٣)] لكان من السهل حشد الجنود من الأطراف، ولحَمَلْتُ عليهم بجيش في غارة ليلية وشتَّتُّ شملَهم، ولو جرت الأمور على خلاف ذلك فأَولى بالفتى أنْ يقتل في حومة الوغى في عزَّة وشرف»[(٤)].

وهكذا، دخل قادة الجيش العباسيّ الاجتماع غاضبين، وخرجوا منه أكثر غضباً، ممّا يجعلنا نستذكر هنا قول المفكّر والمؤرّخ الاستراتيجيّ الكابتن ليدل هارت ناصحاً القائدَ العسكريّ: «إيَّاك والغضب، فإنّه رذيلة يجب على جميع القادة أنْ يتفادوها؛ فمن شأنها أنْ تخلق الفوضى في تفكيرهم، وتُفسد عليهم صحة التصرف»[(٥)].

(١) كان أحد كبار قادة الجيش العباسي، ويقول النويري إنه كان «أمير عَلَم الخليفة» (نهاية الأرب: ٢٥٧/٢٧). وأمير عَلَم تعني حامل الراية.

(٢) أي طلب العون والمساعدة من ملوك الأطراف من حكام بلاد الشام وغيرهم.

(٣) كلامه هذا دال على أن القوات المغولية قد طوَّقت بغداد في هذا التأريخ من جميع الجهات.

(٤) جامع التواريخ: ٧٠٣/٢ (الطبعة الفارسية)، ٢(١)/٢٧٣ – ٢٧٤ (الترجمة العربية).

(٥) المناورات الدفاعية الحربية، لليدل هارت: ١٥٦.

نتائج الاجتماع

يبدو أنْ اختيار الدويدار الصغير ومَن معه من القادة منزلَ الوزير ابن العلقميّ لعقد ذلك الاجتماع، إنما كان بهدف إدخال الرعب في قلب الوزير الذي كانت العلاقات متوترة بينه وبين الدويدار الصغير الذي «كان يترفَّع على وزير الدولة الذي هو نائب الخلافة، وعلى شرف الدين إقبال الشرابيّ الذي كان مقدَّم العساكر، ولم يركب إلى أحد سوى الخليفة»[(١)]. وكان الدويدار قبل قليل قد منع الخليفة من تنفيذ اقتراح الوزير ابن العلقميّ بإرسال وفد إلى هُولاگُو مع هدايا، وهدَّد بالقضاء على أعضاء الوفد تحت التعذيب، والدليل على أنّ ذلك الاجتماع لم يكن بدعوةٍ من الوزير، هو أنّ المؤرّخين لم يشيروا إلى صدور أي تعليق من الوزير خلال الاجتماع؛ ويبدو أنهم رغبوا في أنْ ينقل الوزير بعض كلامهم إلى الخليفة، وهو ما كانوا يبغونه، لكن يُلاحظ هنا ما يأتي:

١. لم يُبحث في هذا الاجتماع إطلاقاً الموقف العسكريّ الحرج الذي تمرّ به البلاد حيث الجند المغول يطوِّقون بغداد من جميع الجهات، وقد يتوغلون بسرعة خاطفة في المدينة في أية لحظة ومن أية نقطة يرونها أضعف من غيرها؛ وهم متمرسون في تكتيكات الحرب حتى إنّ السّير ليدل هارت كان يقول: «إنّ مفهوم التوغل الاستراتيجيّ بواسطة قوة مدرَّعة سريعة الحركة نشأ في ذهنيّ أصلاً بينما كنت أدرس حملات المغول في القرن الثالث عشر [الميلاديّ]»[(٢)]. ولم يتقدم أي واحد من القادة بأيّ مقترح لمعالجة الموقف الخطير جداً عسكرياً.

٢. ترسيخ الصورة السلبية التي في أذهان أولئك القادة عن الخليفة، فهو «صديق المطربين والمساخرة وعدوّ الجيوش والجنود». وهي صفات معروفة عنه لديهم منذ أنْ اختاروه هم للخلافة؛ لكونه ضعيفاً يسهل أنْ يتحكَّموا به. وهكذا كان الشرخ كبيراً بين هؤلاء القادة حُماة البلاد وبين الخليفة، الشخص الأول في الدولة الذي ينبغي أنْ يكون محترماً لدى هؤلاء وغيرهم في شخصيته وفي قراراته، بينما نراهم يُظهرون الاحتقار الشديد لشخصه، ومن ذلك مثلاً ما حدث عندما أحسّ الخليفة

(١) العسجد المسبوك: ٦٣٣. هذا عندما كان الشرابي حياً وكان أكبر قادة الجيش.

(٢) الفكر العسكري عند ليدل هارت، لبوند: ٤٨.

باقتراب الجيش المغوليّ من بغداد وأصدر أمرَه بتعيين مرشد الشرابيّ قائداً عاماً للجيش بدل الدويدار الصغير الذي كان عمره آنذاك ٨٠ سنة، امتنع الدويدار الصغير وبقية أمراء الجيش عن السير تحت لوائه[١]؛ فبطل هذا الأمر.

٣. زاد في هياجهم وحنقهم على خليفتهم أنه تسبَّب - كما قالوا - في خسارتهم الأموال التي جمعوها في عهد أبيه، وادَّعوا أنهم فقدوها في عهد ابنه هذا، ولا نعلم كيف تسبَّب في ذلك.

٤. الموضوع العسكريّ الوحيد الذي طُرح في الاجتماع كان أُمنيّة تمنَّاها القائد سليمان شاه وهي: لو لم يطوِّق ا لمغول بغداد من جميع الجهات، لاستطاع هو أنْ يفعل شيئاً، وسيأخذ مجموعة من الجند ويشن غارة ليلية عليهم ويشتِّتُ جيوشهم. لكن بما أنْ المغول قد طوَّقوا بغداد فعلاً فإنه لن يستطيع القيام بأي شيء، فالحرف «لو» كما يقول سيبويه «حَرْفٌ لما كانَ سيقعُ لوقوعِ غيرِه»[٢]، وعليه فلا جَمَعَ جيشاً ولاتصدَّى للمغول، ولم يُوفَّق للموت في حومة الوغى كما اشتهى، وخَدَعَه هُولاگُو فاستسلم له وذهب إليه مع أقاربه وكان عددهم ٧٠٠ مقاتل، فَقَتَلَه وقَتَلَهم جميعاً.

ومع ذلك يعلن الدكتور السرجانيّ: «لقد قام رجلان من الوزراء وأشارا على الخليفة بحتمية الجهاد. والجهاد كلمة جديدة على هذا الجيل من أجيال الدولة العباسيّة، لكن لا مانع من طرح كلّ الأفكار وإنْ كانت غريبة. قام مجاهد الدين أيبك وسليمان شاه يحضَّان على المقاومة»[٣].

وكما رأينا فالرجلان لم يحضَّا على الجهاد ولا المقاومة، فالدويدار سبَّ الخليفة وتحسَّر على ثروته التي جمعها في زمن المستنصر ثم خسرها - كما يقول - في عهد ابنه المستعصم؛ أمَّا سليمان شاه فقد تمنَّى أُمنيَّة وهي لو لم يطوِّق المغول بغداد لبادر إلى القيام بعمل عسكريّ ضدهم. تمنَّى فقط.

وبرغم ذلك فإنه حين نُقل إلى الخليفة الكلام الذي تمنّى فيها القائد سليمان شاه

(١) ينظر: كتاب الحوادث، ٣٥٠؛ العسجد المسبوك: ٦٢٦.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل: ٣٨٥/٢.

(٣) قصة التتار من البداية إلى عين جالوت ، للسرجانيّ: ١٣٩.

«لو لم يطوِّق المغول بغداد»، ولما لم تكن للخليفة سلطة لا على الدويدار الصغير ولا بقية القادة العسكريّين، فقد استدعى وزيرَه ابنَ العلقميّ وأوكل إليه مهمة تجميع الجنود وإعادة تأهيلهم للقتال على أنْ يضعهم بعد انتهاء التدريب تحت إمرة القائد سليمان شاه، قال الخليفةُ لابن العلقميّ: «إنّ كلام سليمان شاه له الأثر في النفس المنهكة، فاستعرضِ الجندَ حسب تقريرِه لأغنيَهم بالدرهم والدينار، وسلِّمْ أمرَهم إلى سليمان شاه ليحقق خطته.

«على أنّ الوزير ابن العلقميّ عرف أنَّ الخليفة لن يمنح مالاً، لكنه لم يُبْدِ على الفور رأياً مخالفاً لأعدائه»، وذهب إلى عارض الجيش[١] فطلب إليه أنْ يجمع قطعاتٍ من الجنود على أنْ يعرض تحركاتهم فوجاً فوجاً «ليصل نبأ تعبئة الجنود في حضرة الخليفة إلى البعيد والقريب والترك والعرب فتفتر عزيمة العدوّ». ومرت على ذلك خمسة أشهر و«أبلغ العارضُ الوزيرَ أنَّ الجند قد صاروا عدداً وفيراً وجيشاً جراراً، وأنَّ على الخليفة أنْ يمنح المال، فعرض الوزيرُ الأمر على المستعصم ولكنه اعتذر[٢]، فيئس الوزير من مواعيده كليةً ورضيَ بالقضاء»[٣].

إنّ تسليم مهمة الإشراف على تدريب العساكر إلى ابن العلقميّ، الموظف المدنيّ الذي لا علاقة له بالأمور العسكرية – بدل تكليف القائد سليمان شاه الذي كانت أمنيّته سبباً في تحريك همَّة الخليفة نحو الدعوة لتدريب مقاتلين وأحد أكبر قيادات الجيش، وبدل تكليف الدويدار الصغير – فيه دلالة على أنّ ثقة المستعصم بالوزير كانت أكثر من ثقته بهذين القائدين.

لكن مع اقتراب موعد حسم المعركة في محرم سنة ٦٥٦هـ، وإحساس الخليفة بازدياد الخطر المرعب، خصَّصَ مبلغاً كبيراً لتشكيل قوة من الرُّماة للدفاع عن أسوار

(١) يعادل عملُه عملَ وزارة الدفاع في تعبئة الجند وكتابة قوائم بأسمائهم ومرتباتهم وأماكن إقامتهم وتمويلهم.

(٢) أي اعتذر عن تقديم رواتب ومخصصات للجنود.

(٣) تفاصيل تجميع هؤلاء المجنَّدين وتدريبهم أوردها رشيد الدين في جامع التواريخ: ٧٠٣/٢ (الطبعة الفارسية)، ٢(١)/ ٢٧٤ (الترجمة العربية).

بغداد المحاصرة من جميع الجهات في محرم سنة ٦٥٦هـ، لكن أفراد حاشيته سرقوا أغلب تلك الأموال مما سنفصله لاحقاً.

وبإزاء ذلك، انطلقت حملة إعلامية ضدّ الوزير يقودها الدويدار الصغير، يفسِّرها المؤرّخ رشيد الدين بقوله: «لما كان الدواتدار في تلك المدة خصماً للوزير فإنَّ أتباعه من سفلة المدينة وأوباشها كانوا يذيعون بين الناس أنّ الوزير متفق مع هُولاكُو خان وأنه يريد نصرتَه وخذلانَ الخليفة، فقَوِيَ هذا الظنّ»[١].

ونذكِّر هنا بأنّ بعض مؤرّخي الرواية الشاميّة/المصريّة قالوا إنّ ابن العلقميّ هو الذي أضعف الجيش، وقد نقلنا فيما مضى تطوُّر هذه التهمة بنسختها الأخيرة بأقلام هؤلاء المؤرّخين، إذ قيل إنّه أخفى في مكان مجهول ٣٥ ألف جندي من قوّات النخبة الذين يعادلون في الكفاءة القتالية مئتي ألف فارس. فلو كانت هذه التهمة صحيحة فقد كان بإمكان الدويدار الصغير أنْ يقوم بفضح الوزير ابن العلقميّ ولو في هذا الاجتماع ليصرخ به: أنت الذي أضعفَ الجيش، وعليك أنْ تُحضِر الآن قوات النخبة التي نحتاجها في ساعة العسرة هذه، وعليك أنْ تخرجهم من المخبأ الذي أخفيتهم فيه. لقد كان الدويدار قادراً حتى على قتله بسبب هذا التصرف ولديه الآلاف من الجنود.

مع كلّ ذلك يقول الدكتور راغب السرجانيّ: «كان مؤيد الدين [ابن العلقميّ] يوسع الفجوة جداً بين إمكانيات التتار وإمكانيات المسلمين كي لا يبقى هناك أمل في المقاومة»[٢]. والحقيقة فإنّ دعوة ابن العلقميّ إلى إرسال هدايا إلى هُولاكُو لفتح باب التفاوض على حلٍّ ما إنما اقترحه عندما كان هُولاكُو ما يزال داخل الأراضي الإيرانية وليس الآن. والدليل على أنّ الوزير كان ينفِّذ أوامر الخليفة أنه عندما طلب إليه أنْ يدرِّب مجاميع من الجنود أطاع ووافق وسلَّمهم إلى عارض الجيش لكي يأتي بمدربيه ويدرِّبوهم، وفعلاً تمَّ تدريب مجموعة كبيرة من المقاتلين بعد مدة لكن الخليفة امتنع عن مدهم بالرواتب والمخصصات فتفرقوا.

(١) جامع التواريخ: ٧٠٤/٢ (الطبعة الفارسية)، ٢(١)/ ٢٧٤ (الترجمة العربية). قويَ هذا الظن: أي ترسَّخت هذه الإشاعة في أذهان الناس.

(٢) قصة التتار من البداية إلى عين جالوت: ١٣٩.

وقد ظل ابن العلقميّ ملازماً للخليفة حتى نهايته المأساوية. بينما الدويدار الصغير بعد أنْ هُزم في الاشتباك المرير مع القوات المغولية، جمع أمواله ومدَّخراته وركب عدة سفن ليهرب من بغداد بصحبة بضعة مرافقين، لكن المغول كانوا قد نصبوا رمايا عسكرية على مخارج بغداد النهرية فأفشلوا محاولته،حيث يقول ابن الفوطيّ: «لما نزل هُولاگُو على بغداد، أَخَذَ [الدويدار الصغير] الأموالَ والجواهر وأراد أنْ ينحدر في سفينة[١]، فاستولى المغول عليها»[٢]، حيث كان هُولاگُو قد أمر بإنشاء جسر أسفل قرية العقاب لمنع المواطنين الذين ربما فكروا بالهرب إلى مدينة واسط «ولم يعلم أهل بغداد به (بالجسر)، فكانت السفن تصل إليه فيُؤْخذ مَن بها ويُقتَل؛ فقُتِلَ عنده خَلق كثير»[٣]، كما يقول رشيد الدين الذي فصَّل الواقعة بالقول: «لما حمي وطيسُ الحرب في بغداد وضاق الحال على الأهالي أراد الدويدار أنْ يركب سفينة[٤] وأنْ يهرب إلى ناحية السِّيْب، ولكنه بعد أنْ اجتاز قرية العقاب أطلق جند بوقا تيمور حجارةَ المنجنيق والسهامَ وقواريرَ النفط، واستولوا على ثلاث سفن وأهلكوا من فيها، وعاد الدواتدار منهزماً»[٥]. وعاد ليسلم نفسه إلى هُولاگُو الذي غدر به وقتله.

أمّا القول بأنّ الوزير ابن العلقميّ كان بين يدي الخليفة «يوسِّع الفجوة جداً بين إمكانيات التتار وإمكانيات المسلمين»، فهو لم يكن بحاجة إلى عمل كهذا، ذلك أنّ الفجوة كانت هائلة فعلاً بين الاثنين ولو بمقارنة أعداد أفراد الجنود في الجانبين:

فبينما اكتفت الرواية البغداديّة بالقول: «انتشرت عساكر المغول حتى طبَّقت الأرض قاصدين بغداد»، ثم «طبَّقت العساكر المُغُلِّيّة الأرضَ من جانبي بغداد»[٦]، وأنهم

(١) الصواب: في سُفنه، لأنه غادر في أكثر من سفينة كما سنرى بعدقليل.

(٢) تلخيص مجمع الآداب: ٦٩/٤ (ط الهند)، ٣٥٩/٤ (ط الكاظم).

(٣) كتاب الحوادث: ٣٥٥ – ٣٥٦؛ وينظر جامع التواريخ: ٢/ ٧١٠ – ٧١١ (الطبعة الفارسية)؛ ٢٨٨/(١)٢ (الترجمة العربية).

(٤) إن هذه الكلمة ينبغي أن تُقرأ: «سُفُنه» بدلَ «سفينة». والدليل على أنهن أكثر من سفينة أن المغول استولوا على ثلاث منها عدا السفن التي احترقت وغرقت، أي أنهن كنَّ أكثر من سفينة.

(٥) جامع التواريخ: ٢/ ٧١١ (الطبعة الفارسية)؛ ٢٨٨/(١)٢ (الترجمة العربية).

(٦) مختصر التاريخ: ٢٧٠.

«قد أقبلوا كالجراد المنتشر»[١]، و «ملأوا الفضاء من بلاد فارس إلى بلاد الروم بأعداد لا حدَّ لها ولا حصر متوجِّهين إلى بغداد»[٢]، حدَّدت الرواية الشامية/المصرية أعداد المقاتلين في الجانبين بالقول «كان عسكر المسلمين دون عشرة آلاف؛ وجاء هُولاگُو في نحو ٢٠٠٠٠٠»[٣]، ثم إنّ ابن كثير بعد أنْ ذكر المئتي ألف مقاتل الذين جاؤوا مع هُولاگُو، قال عن عسكر المسلمين: «وجنود بغداد في غاية القِلة ونهاية الذِّلة، لا يبلغون عشرة آلاف فارس، وهم في غاية الضعف»[٤].

وبإزاء ذلك كان على الخليفة والقادة العسكريين أنّ يفكِّروا مبكِّراً جداً بحلٍّ لتلك المعضلة منذ أنْ بدأ هُولاگُو بمراسلة الخليفة في سنة ٦٥٠هـ عند بدء اشتباكات جيشه مع الإسماعيلية.

لصوصيّة الخليفة

فضلاً عن بُخله فقد عُرف عن المستعصم حبّه المفرط لتكديس الأموال والثروات، وكان أحياناً يمد عينيه إلى ثروات ومقتنيات الآخرين ويغتصبها اغتصاباً، وسنورد هنا قصة خيانته للأمانة التي أودعها لديه الملكُ الناصر داود الأيوبيّ ملكُ الكَرَك[٥] ومصادرته لها؛ فقد اختلف هذا الملك مع بعض الملوك من أبناء عمِّه على السلطة، فغضب عليهم وجاء إلى بغداد بما كان عنده من الذهب والجواهر وحلَّ ضيفاً على المستعصم وسلَّمه ما كان لديه من الذهب والجواهر ليكون أمانة لديه إلى أنْ تستقرّ الأوضاع في بلاده لكي يعود ومعه كنزه ذاك، وقدَّرَ أنّ الخليفة شخص أمين.

سنستند في وقائع الوديعة المسروقة إلى المؤرّخين الشاميّين لكون الملك الناصر شامياً، وكان هؤلاء قريبين منه أو نقلوا ممن عاصره. فابن واصل الراوي الرئيس للواقعة،

(١) كتاب الحوادث: ٣٥٤.
(٢) ابتداء دولة المغول: ٩٠.
(٣) تاريخ حوادث الزمان وأنبائه (اختيار الذهبي): ٢٤٤.
(٤) البداية والنهاية: ٣٥٧/١٧ – ٣٥٨.
(٥) هو الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود بن عيسى بن محمد بن أيوب الأيوبيّ الحنفيّ.

كان على صلة وثيقة بالناصر وولده[١]، وكان الذهبيّ على صلة بنجله يوسف[٢]؛ وعليه فرواية المؤرّخين هؤلاء تُعَدُّ وثيقة صادقة، فضلاً عن أنّ مؤرّخيها كانوا يحترمون ويبجِّلون الخلفاءَ العباسيّين ومنهم المستعصم بالله.

لخَّص ابن واصل هذه الواقعة وختمها بعبارة ذات مغزى عميق حين رَبَطَ بين هذا المال المسروق وبين استيلاء التتر عليه فيما بعد، فقال: «فلما وصل الجوهرُ إلى بغداد قُبِض، وسُيِّرَ إلى الملك الناصر خطٌّ بقَبْضه. وأراد الملك الناصر بذلك أنْ يكون آمناً عليه بكونه مودَعَاً في دار الخلافة، فلم تقع عينُه بعد ذلك عليه، وكان رزقاً للتتر ساقَه اللهُ إليهم لمَّا أخذوا بغداد وقَتلوا الخليفة»[٣]. وحين جاء الناصر مطالباً بوديعته، أمر المستعصم بأنْ يقيم في الأنبار وأنْ لا يدخل بغداد[٤]؛ لخوفه من أنه إنْ دخل بغداد يطالبه بالوديعة، وكل ذلك يتضمَّن إهانة بليغة للناصر، إذ كان ملكاً محترماً في بلاده، قال الذهبيّ: «كان فقيهاً حنفياً ذكياً، مناظراً، أديبا شاعراً بديع النظم، مشاركاً في علوم»[٥].

قدَّر المؤرخون قيمة تلك الوديعة بمئة ألف دينار[٦]، وحين احتاجها لم يُرْجِعْها إليه برغم إلحاحه وتوسلاته وقصائده التي نظمها[٧]، ومع ذلك ظلَّ الناصر بعدها «يتضرَّع إلى الخليفة فلا يجيب ضراعتَه، ويطلب وديعته فلا يردّ لهفتَه، ولا يجيبه إلَّا بالمماطلة والمطاولة»[٨]. فذهب إلى الحج، وسافر إلى مشهد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وهناك نظم قصيدة مؤثرة يمدح فيها المستعصم، وممّا قال فيها «فصُنْ ماء وجهي...»،

(١) ينظر مثلًا: مفرج الكروب: ١٥/٥ – ١٦، ١٥١/٦، ١٨٦، ١٨٨.

(٢) ينظر معجم الشيوخ المعجم الكبير ، للذهبيّ: ٣٨٦/٢.

(٣) مفرج الكروب لابن واصل: ٦/ ١٨٦ ؛ روض المناظر لابن الشحنة: الورقة ١٣٧أ.

(٤) ينظر : المختصر في أخبار البشر: ١٨٧/٣؛ عقود الجمان: الورقة ١١٢أ؛ تاريخ مجموع النوادر، للعزيّ: ٩٩ – ١٠٠. وعلَّق مؤلفُه: «وهذا أقبح ما يُنقل عن الملوك والخلفاء والوزراء»، وقال إنّ الملك الناصر أقام بالأنبار ثمانية أشهر؛ (ينظر صدق الأخبار لابن سباط: ٣٦٤/١).

(٥) سير أعلام النبلاء: ٣٧٧/٢٣.

(٦) ينظر مثلًا: عقود الجمان: الورقة ١١٢أ؛ وقدَّرها العِزي بـ ٥٠ ألف دينار (تاريخ مجموع النوادر، ٩٩).

(٧) ينظر المختصر في أخبار البشر:١٨٧/٣.

(٨) شفاء القلوب في مناقب بني أيوب عز الدين العسقلانيّ: ٣٥٥.

وكأنه يستجدي منه، ثم أعلن له أنه عبدٌ له بالوراثة[١]، ولكن المستعصم لم يتزحزح عن موقفه وظلّ مصمّماً على ابتلاع وديعة الملك الناصر، ومن هناك انطلق إلى الحج، ثم عرَّج على المسجد النبويّ ووقف تحت قبته وأشهدَ الحُجَّاجَ - ومنهم حُجَّاج العراق - بأنّ لديه وديعة أودعها عند الخليفة المستعصم وأنه يريدها وأنّ المستعصم احتجزها عنده»[٢].

وقد نُقل إلى المستعصم خبر دعاء الناصر الأيوبيّ قرب قبر النبيّ ﷺ ممّا شكَّل فضيحة للمستعصم، فابتكر وسيلة تمكِّنه من إسكات الملك الناصر وكَفِّه عن المطالبة بوديعته، فبادر إلى كتابة قوائم بالنفقات التي أنفقها عليه عند حلوله ضيفاً عليه في بغداد وكتب عليه «اللحم والخبز والحطب والعُلَّيْق والتِّبن وغير ذلك، وثمَّن عليه ذلك بأغلى الأثمان، وأرسل إليه شيئاً نزراً وألزمه أنْ يكتب خطَّه بقبض وديعته وأنه ما بقي يستحقّ عند الخليفة شيئاً؛ فكتب خطّه بذلك كُرهاً وسار عن بغداد وأقام مع العرب»[٣]، وقد قال الذهبيّ إنّ الخليفة «احتجَّ بحجج باردة، وجرت أمور قبيحة لم يُعهد مثلها من أمير فضلاً عن أمير المؤمنين»، فأرسل إليه محاسبين بأيديهم قوائم، فحاسبوه على النفقات التي أنفقها عليه الخليفة حين حلَّ ضيفاً عليه من مأكول ومشروب وهدايا «ثم أوصلوا إليه شيئاً يسيراً، وقالوا: قد وصل إليك قيمة وديعتك، فهاتِ خطَّك بوصوله، وأنك لم يبقَ لك شيء. فكَتَبَ كارهاً؛ ولم يصل إليه من قيمتها العُشْر»[٤].

ويحدثنا ابن الحريريّ عن اعتقادٍ سادَ آنذاك رَبَطَ بين غصْب هذه الوديعة وبين ما نُكِبَ به الخليفة المستعصم فيقول: «فلما جرى على الخليفة ما جرى من الأمور ظنُّوا

(١) ينظر: ذيل مرآة الزمان: ١٦٨/١ - ١٧٠؛ تاريخ الإسلام: ٨١٠/١٤ - ٨١١ (ط معروف).

(٢) مفرج الكروب: ٦/ ١٩٣؛ وينظر: ذيل مرآة الزمان، ١٧٢/١(ط حيدر آباد)؛ الوافي بالوفيات: ٣٠٧/١٣؛ المختصر في أخبار البشر: ١٩١/٣؛ مسالك الأبصار: ٢٣٩/٢٧؛ عقود الجمان: الورقة ١١أ؛ صدق الأخبار: ٣٦٦.

(٣) المختصر في أخبار البشر: ١٩١/٣؛ مفرج الكروب: ٦/ ٧٨، ١٨٣ - ١٨٦، ١٩١ - ١٩٣؛ ذيل مرآة الزمان: ١٧٢/١؛ الذهب المسبوك: ١١٢ - ١١٣؛ عقد الجمان: (حوادث وتراجم ٦٤٨ - ٦٦٤هـ)، ١٢٠؛ إنسان العيون لابن أبي عذيبة: ٣٣٧ - ٣٣٨؛ مسالك الأبصار: ٢٤٠/٢٧؛ الأنس الجليل، للعليمي: ١٠/٢.

(٤) تاريخ الإسلام: ١٤/ ٦٦٧(ط معروف).

أنّ ذلك بخطيَّة وديعة الملك الناصر»[١]. وشاع خبر هذه الفضيحة في التاريخ وسارت في الأمصار، ونُظمت فيها الأشعار[٢].

وقد ذكرنا في كتابنا القادم عن الغزو المغوليّ للعراق أمثلةً أُخَر عن سرقات المستعصم.

وإنّ خليفةً على هذه الدرجة من انعدام الأمانة كان لا بدَّ أنْ يكون قدوة سيئة لبعض المحيطين به من أفراد حاشيته، فمع اقتراب موعد حسم المعركة في محرم سنة ٦٥٦هـ، وشعور الخليفة بالخطر المرعب، خصَّصَ مبلغاً كبيراً لتشكيل قوة من الرُّماة للدفاع عن أسوار بغداد المطوَّقة بالمغول من جميع الجهات، لكن أفراد حاشيته عبَّروا عن جوهرهم الحقيقيّ في اللصوصية، يقول المؤرّخ ابن الكازرونيّ الذي كان في بغداد آنذاك: «وتقدَّمَ الخليفةُ بإقامة جماعة من الرُّماة على السور وإطلاق مالٍ كثير إليهم؛ فخرجَ جماعةٌ من الأعيان وأعوان الديوان والمالُ معهم وشرَعوا في الإثبات[٣] وإطلاق اليسير وسَرِقة الباقي شَرَهاً إلى المال»[٤]. وهكذا أثبتَ كبار موظفي دولة المستعصم ورجال بلاطه أنهم لصوص حتى في تلك الساعات الحرجة التي يطوِّق بها الأعداء مقر الخلافة وبيوتهم.

بتر النصوص

هذه الظاهرة وجدناها لدى بعض معاصرينا ممّن كتبوا في هذا الموضوع؛ فحين يذكرون الشخص الذي عيَّنه المغول لحكم العراق يوردون اسم الوزير ابن العلقميّ فقط لكونه كان «رافضياً»، وأنّ المغول كافأوه لأنه كتب لهم رسائل ودعاهم لغزو العراق. فالباز العرينيّ يقول: «وقد عيَّن [هُولاكُو] على بغداد قبل رحيله الوزيرَ ابن العلقميّ الذي كان ينفِّذ سياسة الموظفين المغول»[٥].

(١) منتخب الزمان ، لابن الحريري: ٣٤٧/٢. خطية: خطيئة، جريرة.

(٢) عن تفاصيل غَصْب المستعصم هذه الوديعة، فضلًا عما ذكرناه من مصادر آنفاً، ينظر أيضاً: تتمة المختصر: ١٧٦/٢؛ تاريخ الإسلام: ٨١١/١٤ (ط معروف)، سير أعلام النبلاء: ٣٨٠/٢٣؛ عيون التواريخ: ٩٣/٢٠ - ٩٤، فوات الوفيات، ٤٢٤/١؛ تحفة ذوي الألباب، للصفدي: ١١٥/٢؛ منتخب الزمان: ٣٤٧/٢.

(٣) أي أنهم بدأوا بتسجيل قوائم بأسماء الراغبين بالتطوع في قوة الرماة المُزمع تشكيلها.

(٤) مختصر التاريخ، ٢٧٢ .

(٥) المغول: ٢٢٢.

فجاء الدكتور المشهدانيّ ونقل منه هذا الكلام، ثم عقَّب بالقول: «إذن فإنّ هذا يدل على أن هُولاگُو كان يقتل كلّ من هو مخلص للخليفة والخلافة. فلماذا لم يقتل ابن العلقميّ لو كان مخلصاً للخلافة؟»[١]، وكان قد استند إلى الباحث في الحروب الصليبية رنسيمان المتوفّى سنة ٢٠٠٠م ليقول «إنّ هُولاگُو اختار لحكم بغداد الوزير السابق ابن العلقميّ الذي خضع لإشراف دقيق من قِبل الموظفين المغول»[٢]، ورنسيمان متأخر جداً، وكان بإمكان الدكتور المشهدانيّ أنْ يستند إلى مصادره القديمة مثل كتاب الحوادث الذي فصَّل أسماء أعضاء الحكومة التي شكَّلها هُولاگُو لحكم العراق.

ثم جاءت السيّدة خطابي ولقلّة بضاعتها في المصادر التاريخية نقلت هذا الكلام وكأنه من البديهيات وصاغته بالقول: إنّ المغول في غزوهم بغداد «لم يُبقوا على أحد سوى الوزير وعيَّنوه وزيراً لهم في بغداد»، لكنها قالت لاحقاً: «إنّ هُولاگُو بعد انتهائه من فعلته هذه ببغداد، غادرها إلى أذربيجان مع السبي والأموال مسلِّماً إلى علي بهادر وابن العلقميّ الشحنكية»[٣].

ويالللأسف فإنّ هؤلاء الكتَّاب بتروا النصّ، فهُولاگُو لم يعيِّن ابن العلقميّ وحده لحكم العراق، ذلك أنه اتَّبع خطة ماكرة لإدارة العراق بعد قتله الخليفة، فحينما كان الخليفة يُرسل الوفود إليه ليتفاهم معه على حلٍّ ما خلال حصاره بغداد، كان هُولاگُو يعيق بعض أعضاء الوفود من العودة إلى الخليفة، ولم يكن ابن العلقميّ وحده الذي منعه من العودة عند قدومه إليه في آخر زيارة، فعندما جاءه وفد كان أعضاؤه: ابن العلقميّ ومستشار الخليفة الخاص عبد الغني ابن الدرنوس ومار مكيخا الجاثليق مع هدايا لهُولاگُو. أعاد هُولاگُو ابنَ العلقميّ إلى بغداد برسالة إلى الخليفة وأبقى لديه بقية أعضاء الوفد الآخرين أو ما عُبِّر عنه بالقول: «ثبَّطهم هُولاگُو ولم يأذن لهم أنْ يعودوا إلى الخليفة»[٤]. فهؤلاء ممّن أبقاهم عنده وغيرهم هم الذين اختارهم عند تشكيله

(١) في محكمة التاريخ: ابن العلقمي والطوسيّ: ٦٤.
(٢) في محكمة التاريخ: ابن العلقمي والطوسيّ: ٤٩.
(٣) الخليفة المستعصم بالله وسقوط بغداد: ٦٠، ٧٤.
(٤) تاريخ الزمان: ٣٠٧ – ٣٠٨.

ما يمكن أنْ نسمّيه «حكومة الأمر الواقع»، وهي هيأة مكونة من[١]:

١. علي بهادر الخوارزميّ وهو أحد القادة العسكريين الذين جاؤوا مع هُولاگُو وشارك مشاركة فعّالة في الهجوم على بغداد، ووصف بأنه «حَسَنُ السياسة، مُظْهِرٌ للخير، يلازمُ الصَّلَوَات في الجُمَعِ والتَّراويح وغيرها»[٢]، عُيِّن بمنصب شِحنة، والحقيقة فإنه كان هو الحاكم الأول للبلاد مع قائدين عسكريين معروفين هما إيلكا نويان وقرا بوغا وتحت إمرتهم وحدة عسكرية من ٣٠٠٠ مقاتل مغولي من قوات النُّخبة، وقيل ٥٠٠٠، وقيل٦٠٠٠ مقاتل[٣].

٢. الوزير مؤيد الدين ابن العلقميّ الإماميّ، عُيِّن بمنصب وزير، ولم يطل المقام به في الوزارة، إذ توفّي بعد ما يقارب أربعة أشهر، فعُيِّنَ محلَّه نجلُه عزّ الدين الذي ما لبث أنْ توفّي في السنة نفسها[٤]، وعندها سلَّم المغول حكم العراق إلى:

٣. عماد الدين عمر بن محمد القزوينيّ الشافعيّ الذي وُصف بـ«الوزير الكبير صاحب الديوان ببغداد»[٥].

٤. ثم تولّى الحكم من بعده علاء الدين عطا ملك الجوينيّ الحنفيّ في شهور سنة ٦٥٧هـ[٦].

٥. فخر الدين أحمد بن محمد الدامغانيّ الحنفيّ، عيَّنه هُولاگُو بمنصب صاحب الديوان، أي المنصب نفسه الذي كان يشغله على عهد الخليفة المستعصم.

٦. علي بن هبة الله ابن الدواميّ الشافعيّ حاجب باب الخليفةِ المستعصم ووالدِه المستنصر، عُيِّنَ لإدارة صدر الأعمال الفراتية. وحين توفّي عُيِّنَ ولدُه مجدُ الدين حسين عوضه.

---

(١) استندنا في قائمة التعيينات الآتية إلى كتاب الحوادث بالدرجة الأولى: ٣٦١ – ٣٦٢؛ ثم إلى جامع التواريخ: ٧١٤/٢ (الفارسية)، ٢(١)/٢٩٥ (الترجمة العربية).

(٢) كتاب الحوادث: ٣٨١؛ ينظر أيضاً: تاريخ الإسلام: ٧٠١/١٤ (ط معروف).

(٣) ينظر : جامع التواريخ: ٧١٤/٢ (الطبعة الفارسيّة)، ٢(١)/٢٩٥ (الترجمة العربية)؛ النهج السديد والدر الفريد، لابن العسال: ٩٩؛ تالي كتاب وفيات الأعيان للصقاعي: ٣، على التوالي.

(٤) ينظر : كتاب الحوادث، ٣٧٠؛ تاريخ الإسلام: ٢٩٢/٤٨، ٣٢٦.

(٥) الوافي بالوفيات: ٥٨/٢٤.

(٦) ينظر: تسلية الإخوان: الورقتان ٨ب – ٩أ؛ كتاب الحوادث: ٣٦٩؛ نثر الجمان، للفيومي: الورقة ٣٨٢أ.

٧. نجم الدين عبد الغني بن الدُّرنوس المستشار الأول للخليفة المستعصم،عُيِّن مديراً لشؤون المكاييل والأوزان.

٨. أحمد بن عمران الباجسريّ، وكان عاملاً لدى الخليفة المستعصم، وقد وسَّط أحدَ الأمراء ليوصله إلى هُولاگُو، ثم حَضَرَ بين يديه وشرح له من أحوال الأمور المالية والجباية في العراق ما أثار إعجابه به فعيَّنه على الأعمال الشرقية وهي الخالص وطريق خراسان والبندنيجين[١].

٩. وحَضَرَ نظام الدين عبد المنعم بن كامل البندنيجيّ الشافعيّ قاضي قضاة الخليفة المستعصم، فَأَمَرَ هُولاگُو بأن يُقَرَّ بمنصب قاضي القضاة[٢].

١٠. جلال الدين كشلو خان نجل قائد الجيش الدويدار الصغير الذي غَدَرَ به هُولاگُو وقَتَلَه بعد استسلامه، عُيِّن بمنصبِ أمنيّ خطيرٍ في الحكومة الجديدة[٣].

والقائمة تطول وقد ذكرتُها في كتابي إعادة التاريخ فلتراجع هناك[٤].

وعليه فإنّ كثيرين من كبار العاملين مع المستعصم ظلّوا أحياء وطلب إليهم هُولاگُو أنْ يكونوا في الحكومة التي شكَّلها قبل رحيله عن بغداد.

السرجانيّ وأحدث زيادة في «الدعوى المنتظرة»

ممّن بقي حياً من وجهاء بغداد خلال الغزو المغوليّ، اثنان كانا وبالاً على علمائها وفقهائها وهما شهاب الدين الزنجانيّ قاضي قضاة الشافعية[٥]، والفقيه عبد الجليل الطهرانيّ الحنفيّ؛ حيث يقول ابن الفُوَطيّ – الذي كان في بغداد آنذاك – في ترجمة الطهرانيّ: «كان شديد الوطأة على أهل العناد والفساد وتولَّى تدريس المدرسة البشيرية، وكان عالماً بالفقه وأيام الناس؛ وهو مِمَّن كان يُخْرِجُ الفقهاءَ إلى باب السور إلى مخيَّم

(١) يظر كتاب الحوادث: ٣٦١، ٣٨٢؛ البندنيجين هي مدينة مندلي الحالية.

(٢) ينظر: جامع التواريخ: ٧١٤/٢ (الطبعة الفارسية)، ٢٩٥/(١)٢ (الترجمة العربية)؛ كتاب الحوادث: ٣٦١.

(٣) ينظر كتاب الحوادث، ٣٨٢.

(٤) ينظر إعادة كتابة التاريخ: ١٤٠ – ١٤٣.

(٥) ترجمناه بصورة وافية في كتابنا إعادة كتابة التاريخ: ٦٥ – ٦٩.

السلطان هُولاگُو مع شهاب الدين الزَّنْجانيّ ليُقْتَلوا»[١].

ولكي نطَّلع كيف ظلّت الزيادات تتوالى على الرواية الشاميّة/المصريّة حتى عصرنا الحاضر، وكيف يجرُّ الشنآنُ[٢] بعضَ الكتَّاب إلى ما تأباه النفوس النبيلة وتشمئزّ منه، وهو المنهيُّ عنه في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٣]، نورد ما ذكره الدكتور راغب السرجانيّ من أنَّ أحد الإجراءات التي اتخذها هُولاگُو، هو «أنْ يُستدعَى من بغداد بعض الرجال بعينهم، وهؤلاء هم الرجال الذين ذكر ابن العلقميّ أسماءهم لهُولاگُو، وكانوا من علماء السُّنَّة، وكان ابن العلقميّ يكنُّ لهم كراهية شديدة؛ وبالفعل تمَّ استدعاؤهم جميعاً، فكان الرجل منهم يخرج من بيته ومعه أولاده ونساؤه فيذهب إلى مكان خارج بغداد عيَّنه التتار بجوار المقابر، فيذبح كما تُذبح الشِّيَاه، وتؤخذ نساؤه وأولاده»[٤].

ونلاحظ على كلام الدكتور السرجانيّ ما يأتي:

١. القول بأنّ الوزير ابن العلقميّ أعدَّ قائمة بأسماء علماء سنَّة وقدمها لهؤلاكو، هو كلام من جيب السرجانيّ، ولم يقله أشد المؤرخين كراهيةً لابن العلقميّ.

٢. إنّ هذا النص الذي يتحدث عن عملية إلقاء القبض على عوائل بتمامها موجود لدى ابن كثير، وهو خاص بالأُسر العباسيّة حصراً، ولا علاقة له بالعلماء السُّنَّة أو غيرهم من العلماء، إذ يقول: «وكان الرجل يُستدعى به من دار الخلافة من بني العباس، فيخرج بأولاده ونسائه وجواريه، فيُذهب به إلى مقبرة الخلَّال، تجاه المنظرة، فيُذبح كما تُذبح الشاة، ويؤسر مَن يختارون من بناته وجواريه»[٥].

(١) تلخيص مجمع الآداب: ٤(٣)/١٩٥ (ط جواد)، ٣٨/٣ (ط الكاظم). وعبارة «أهل العناد والفساد» الفضفاضة كانت تتيح لهذين الاثنين إلقاء القبض على من يخالفهما مِن علماء بغداد وفقهائها وتسليمه للمغول.

(٢) الشنآن: البُغض.

(٣) سورة المائدة: الآية ٨.

(٤) قصة التتار من البداية إلى عين جالوت: ١٥٠.

(٥) البداية والنهاية: ٣٦٢/١٧. ومقبرة الخلال هي الموضع المعروف اليوم باسم جامع الخلاَّني.

٣. إنّ الدكتور السرجانيّ باختلاقه قصة «القائمة التي قدمها ابن العلقميّ لهُولاكُو» قد أضاع مظلومية هؤلاء الشهداء من أبناء وبنات الأُسرة العباسيّة الذين ذُبحوا بتلك الهمجية.

وبطبيعة الحال فإنّ هناك أساطيرَ كثيرةً مما ألَّفه مؤرّخو الرواية الشاميّة/المصريّة لواقعة الغزو المغوليّ أوردناها وناقشناها في كتابنا القادم عن الواقعة.

أغلاط وأغلاط

أخيراً، نشير إلى أنّ السيّدة خطابي قد ارتكبت في رسالتها على صغرها (مجموع صفحاتها ٨٢ صفحة)، أغلاطاً نحوية ولغوية وطباعية كثيرة كنّا نتمنّى لو صحّحتها. وكان ينبغي لأساتذتها أنْ ينصحوها بذلك؛ لأنّ تركها بهذه الصورة يدلّل على عدم اهتمامها بالرسالة، وعلى تساهل من أساتذتها. وهذا لا يجوز حتى في مقالة صحفية، فما بالك برسالة جامعية؟ وفيما يأتي أمثلة على ذلك:

قولها: «ص ١٣: القلقشندي: أبي العباس أحمد» (الصواب: أبو العباس)؛ و«ص ٢٠: لذا نجد الصينيون قد شيدوا بما يُعرف بصور الصين» (الصواب: نجد الصينيين قد شيدوا ما يُعرف بسور الصين)؛ «ص ٢١: عنوان: غذائهم، ملبسهم، ومساكنهم» (الصواب: غذاؤهم)؛ «ص ٢١: كان غذائهم الرئيسي لحوم الخيل» (الصواب: غذاؤهم)؛ «ص ٢١: وغذائهم قليل» (وغذاؤهم)؛ «ص ٢١: ويشربون دمائهم» (الصواب: دماءهم)؛ «ص ٢١: ولباسهم كان بسيط» (الصواب: بسيطاً)؛ «ص ٢٢: عندما يسكنوا في المناطق القريبة» (الصواب:يسكنون)؛ «ص ٢٢: يقيمون بدل الأكواخ خيام من الصوف» (الصواب:خياماً)؛ «ص ٢٢: إنهم مفرقين إلى قبائل» (الصواب: مفرقون)؛ «ص ٢٢: كانوا يطيعون رؤسائهم» (الصواب: رؤساءهم)؛ «ص ٢٣: أنهم ذوي نفوذ» (الصواب: ذوو نفوذ)؛ «ص ٢٧: وصلت أنبائه» (الصواب: أنباؤه)؛ «ص ٣٥: ينتسبون إلى آل سلجوق إحدى رؤساء الأتراك» (الصواب: إحدى عوائل أو أُسَر الأتراك)؛ «ص ٤١: فالتقا الطرفان» (الصواب:فالتقى)؛ «ص ٤١: مدة ثلاث أيام» (الصواب: ثلاثة)؛ «ص ٤١: مدينة سوداق فهي مدينة التي منها مادَّتهم» (الصواب:فهي المدينة التي)؛ «ص ٤٢: وضعوا لهم كمين» (الصواب:كميناً)؛ «ص ٧٤: وبانقضاء أربعون يوماً لم يبقى ببغداد» (وبانقضاء أربعين يوماً لم يبقَ)؛

«ص ٤٢: ولم يُجدي ذلك نفعاً» (الصواب: ولم يُجدِ)؛ «ص ٥٠: وعِبرة اليقضان» (الصواب: اليقظان)؛ «ص ٥٥: الغباب في اللغة» (الصواب: العُباب)؛ «ص ٥٨: يُظهِر عكس ذلك تمام» (الصواب: تماماً)؛ «ص ٦٢: منهن من تزوجهنّ... وهم مشهورات» (الصواب: وهنَّ مشهورات»؛ «ص ٦٣: إلَّا أنَّ أبو المحاسن» (الصواب: أنَّ أبا المحاسن)؛ «ص ٦٨: بوجود قائدا لجيش الخليفة» (الصواب: قائدٍ)؛ «ص ٧٥: لم يُعنى عندهم بالاهتمام» (الصواب: لم يُعْنَ)؛ «ص ٧٥: ندماً على فَعْلته وتحصراً على وضعيته» (الصواب: تحسُّراً)؛ «ص ٧٦: حُكمُه ذات صفة معنوية» (الصواب: حُكمُه ذو صفة).

«ص ٣٤، برغم أنها كتبت الصورة الصحيحة لكلمة خراسان، لكنها طبعتها في الصفحة نفسها ثلاث مرات بصورة خرسان، وكذلك في ص ٣٥ و٤٢، ممّا قد يوهم بعض القرّاء»؛ و«ص ٣٤: منقشلاع، وطُبعت كذلك بالعين في الهامش» (الصواب: منقشلاغ)؛ «ص٣٥: بحر آراك» (والصواب: آرال). كلّ ذلك فضلاً عن وجود أغلاط طباعية كثيرة نضرب عنها صفحاً.

المصادر والمراجع

١. ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان، قطب الدين محمود بن مسعود بن المصلح الشيرازيّ الشافعيّ (٦٣٤ – ٧١٠هـ)، ترجمة وتحقيق يوسف الهادي، مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، كربلاء، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

٢. أحوال النصارى في خلافة بني العباس، الدكتور جان موريس فييه، ترجمة حسني زينة، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٠م.

٣. أخبار الأيوبيين، المكين جرجس بن العميد بن إلياس (٦٠٢ – ٦٧٢هـ)، المعهد الفرنسيّ، دمشق، ١٩٥٨م.

٤. أسد الغابة، عز الدين علي بن محمد بن محمد الشيبانيّ المعروف بابن الأثير الجزريّ (٥٥٥ – ٦٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥. الأصيلي في أنساب الطالبيين، محمد بن تاج الدين علي ابن الطقطقى الإماميّ (توفي في حدود سنة ٧٢٠هـ)، تحقيق مهديّ الرجائيّ، مكتبة المرعشيّ، قم، ١٤١٨هـ.

٦. إعادة كتابة التاريخ، الغزو المَغُوليّ للعراق أُنموذجاً، يوسف الهادي، الطبعة الثانية، المجمع العالميّ للتقريب بين المذاهب، طهران، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م؛ وكانت طبعته الأولى قد صدرت عن دار الوسط في لندن سنة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م تحت عنوان إعادة كتابة التاريخ، إسقاط الخلافة العَبَّاسِيَّة أنموذجاً.

٧. الأُنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن العُلَيْميّ الحَنْبَلِيّ (٨٦٠ – ٩٢٨هـ)، تحقيق عدنان أبو تبانة، مكتبة دنديس، عمَّان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٨. إنسان العيون في مشاهير سادس القرون، أحمد بن محمد بن عمر المقدسيّ الشافعيّ المعروف بابن أبي عُذَيبة (٨١٩ –٨٥٦هـ)، تحقيق الدكتور إحسان ذنون الثامريّ والدكتور محمد عبد الله القدحات، دار وَرْد، عَمَّان، ٢٠٠٠م.

٩. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ الدمشقيّ الشافعيّ (٧٠١ – ٧٧٤هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. كما استفدنا من الطبعة التي حققها علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٠. بغداد في عهد الخلافة العباسية، غاي لسترنج (توفي سنة ١٩٣٣م)، ترجمة بشير يوسف فرنسيس، المطبعة العربية، بغداد، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

١١. بغداد مدينة السلام، ريتشارد كوك، ترجمة وتحقيق فؤاد جميل والدكتور مصطفى جواد، مطبعة شفيق، بغداد ١٩٦٢.

١٢. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ الدمشقيّ الشافعيّ (٦٧٣ – ٧٤٨هـ)، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. كما استفدنا من الطبعة التي حقّقها الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٣. تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزوزنيّ المسمى بالمنتخبات الملتقطات من إخبار العلماء بأخبار الحكماء، علي بن يوسف بن إبراهيم القفطيّ الشيبانيّ (٥٦٨ – ٦٤٦هـ)، تحقيق يوليوس ليبرت، لايبزك، ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م.

١٤. تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزريّ القرشيّ الدمشقيّ (٦٥٨ – ٧٣٩هـ)، اختيار الذهبيّ، تحقيق خضير عباس محمد خليفة المنشداويّ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٥. تاريخ الزمان، غريغوريوس بن أهرون الملطي المعروف بابن العبريّ (٦٢٣ – ٦٨٥هـ)، ترجمة الأب إسحاق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.

١٦. تاريخ فتوحات مغول، ج. ج. ساندرز، ترجمة أبو القاسم حالت، نشر مؤسسة أمير كبير، طهران، ١٩٨٤م.

١٧. تاريخ مجموع النوادر مما جرى للأوائل والأواخر، قرطاي العِزِّي الخَزِنْدار (توفي بعد سنة ٧٠٨هـ)/ تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٨. تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس بن أهرون الملطي المعروف بابن العبريّ (٦٢٣ – ٦٨٥هـ)، تحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعيّ، دار الرائد اللبنانيّ، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٩. تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٤٩٩ – ٥٧١هـ)، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمرويّ، دمشق، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢٠. تاريخ الموسيقى العَرَبِيَّة حتى القرن الثالث عشر الميلادي، الدكتورهنري جورج فارمر (١٨٨٢ – ١٩٦٥م)، تَرْجَمَة جرجس فتح الله المحامي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٢١. تالي كتاب وفيات الأعيان، فضل الله بن أبي الفخر الصُّقَاعيّ (حوالي ٦٢٦ –٧٢٦هـ)، تحقيق جاكلين سوبله، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٧٤م.

٢٢. تتمة المختصر المعروف بتاريخ ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر المعروف بابن الورديّ (٦٩١ – ٧٤٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢٣. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، أبو علي أحمد بن محمد مسكويه (توفي سنة ٤٢١هـ)، تحقيق الدكتور أبو القاسم إمامي، دار سروش، طهران، ٢٠٠١م.

٢٤. تجارب السَّلَف، هِنْدُوشاه بن سنجر بن عبد الله النَّخْجَوَانيّ الشَّافِعِيّ (كان حياً سنة ٧٢٤هـ)، تحقيق عباس إقبال، كتابخانه طهوري، طهران، ١٩٧٩م.

٢٥. تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، الهلال بن المحسِّن بن إبراهيم الصابيّ الحرَّاني (٣٥٩ – ٤٤٨هـ)، بيروت، ١٩٩٠م.

٢٦. تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنُّوَّاب، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفديّ الشافعيّ (٦٩٦ – ٧٦٤هـ)، تحقيق إحسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمصام، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٢م.

٢٧. تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبيّ الشافعيّ (٦٧٣ – ٧٤٨هـ)، تحقيق عبد الرحمن المعلميّ اليمانيّ، حيدر آباد الدكن، ١٩٥٥ –١٩٥٨م.

٢٨. تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، الحسن بن عمر بن الحسن المعروف بابن حبيب الحلبيّ الشافعيّ (٧١٠ – ٧٧٩هـ)، تحقيق الدكتور محمد محمد أمين والدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٦م.

٢٩. تسلية الإخوان، علاء الدين عَطَا مَلِك بن محمد بن محمد الجُوَيْنيّ الحنفيّ (٦٢٣ –٦٨١هـ)، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ في طهران، الرقم ٧٥٥.

٣٠. تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣١. تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن الفُوَطِيّ الشَّيبانيّ الحنبليّ البغداديّ (٦٤٢ – ٧٢٣هـ)، تحقيق محمد الكاظم، طهران، ١٤١٧هـ. كما استندنا إلى الطبعة التي حققها الدكتور مصطفى جواد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٢ – ١٩٦٧م.

٣٢. التمييزُ والفَصْل بين المتَّفق في الخط والنَّقط والشَّكل، إسماعيل بن هبة الله بن محمد الموصليّ المعروف بابن باطيش الشافعيّ (٥٧٥ – ٦٥٥هـ)، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٣م.

٣٣. جامع التواريخ (التاريخ الغازاني)، الترجمة العربية القديمة المحفوظة في مكتبة أيا صوفيا تحت الرقم ٣٠٣٤، رشيد الدين، فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير الهَمَذَانيّ الشافعيّ (٦٤٨ – ٧١٨هـ)، طبعة بالفاكسميلي، مؤسّسة نشر ميراث مكتوب، طهران، ٢٠١٧م.

٣٤. جامع التواريخ (تاريخ المغول)، رشيد الدين، فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير الهمذانيّ

الشافعيّ (٦٤٨ – ٧١٨هـ)، تحقيق الدكتور بهمن كريمي، نشر إقبال، طهران، ١٩٨٣م.

٣٥. جامع التواريخ، تاريخ المغول، الإيلخانيون، تاريخ هولاكو: المجلد الثاني –الجزء الأول رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير الهمذانيّ الشافعيّ (٦٤٨ – ٧١٨هـ)،ترجمة محمد صادق نشأت ومحمد موسى هنداوي والدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٠م.

٣٦. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنَّة وآي الفرقان، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاريّ القرطبيّ (ت ٦٧١هـ)، القاهرة، منشورات دار الشعب.

٣٧. الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السِّيَر، علي بن أنجب بن عبد الله المعروف بابن الساعي الخازن الشافعيّ (٥٩٣ – ٦٧٤هـ)، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد، ١٩٣٤م/١٣٥٣هـ.

٣٨. الجغرافيا، عبد الله بن لطف الله الخوافيّ الشافعيّ المعروف بحافظ أبرو (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق صادق سجادي، نشر ميراث مكتوب، طهران، ١٩٩٧م.

٣٩. الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائيّ المعروف بابن دقماق الحنفيّ (٧٥٠ – ٨٠٩هـ)، تحقيق محمد كمال الدين عزّ الدين، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٤٠. الخميس في أحوال أنفس نفيس، الحسين بن محمد الديار بكري المالكيّ (توفي سنة ٩٦٦هـ)، مؤسسة شعبان، بيروت.

٤١. «الخنجر اللؤلؤيّ في الخاصرة العباسية»، مقال بقلم يوسف الهادي، منشور في مجلة أوراق مجمعية، العدد ٣، السنة ٦، تشرين الأول، ٢٠٢١م.

٤٢. الدر الثمين في أسماء المصنِّفين، علي بن أنجب بن عبد الله المعروف بابن الساعي الخازن البغداديّ الشافعيّ (٥٩٣ – ٦٧٤هـ)، تحقيق أحمد شوقي بنبين ومحمد سعيد حنشي، الخزانة الحسنية في الرباط، مراكش، ١٤٢٨/٢٠٧٧م.

٤٣. دفع شبه التشبيه بأكفّ التنزيه، عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزيّ البغداديّ الحنبليّ (٥٠٨ – ٥٩٧هـ)، تحقيق حسن السقاف، دار الإمام النوويّ، عمَّان، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٤٤. دليل خارطة بغداد المفصَّل، الدكتور مصطفى جواد مصطفى البغداديّ (١٩٠١ – ١٩٦٩م)، والدكتور أحمد نسيم سُوسَة (١٩٠٠ – ١٩٨٢م)، المجمع العلميّ العراقيّ، بغداد، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

٤٥. دول الإسلام الشريفة البهية، وذِكر ما ظَهَرَ لي من حِكَمِ الله الخفيَّة، في جلب طائفة الأتراك إلى الديار المصرية، محمد بن خليل بن يوسف المقدسيّ الشافعيّ (٨١٩ – ٨٨٨هـ)، تحقيق صبحي

لبيب وأُولريش هارمان، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٤٦. الذهب المسبوك في ذكر مَن حجَّ من الخلفاء والملوك، أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزيّ الحنفيّ ثم الشافعيّ (٧٦٦ – ٨٤٥هـ)، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٤٧. ذيل تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ الدمشقيّ الشافعيّ (٦٧٣ – ٧٤٨هـ)، تحقيق مازن بن سالم باوزير، دار المغني، الرياض.

٤٨. الذيل على طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبليّ (٧٣٦ – ٧٩٥هـ)، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان بن العثيمين، مكتبة العبيكان، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

٤٩. ذيل مرآة الزمان، موسى بن محمد بن أحمد اليونيني البعلبكي الحنبلي (٦٤٠ – ٧٢٦هـ)، تحقيق الدكتور عباس هاني الجراخ لهذا الكتاب وصدرت عن دار الكتب العلمية في بيروت سنة ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م. كما استندنا إلى الطبعة التي صدرت في حيدر آباد الدكن، ١٣٧٤ – ١٣٧٥هـ/١٩٥٤ – ١٩٥٥م.

٥٠. «رشيد الدين وأخبار الغزو المغوليّ للعراق»، مقال بقلم يوسف الهادي منشور في مجلة الاجتهاد والتقليد، العددان ٤٨ – ٤٩، سنة ٢٠١٩م.

٥١. روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، محمد بن محمد بن محمود المعروف بابن الشحنة الحلبيّ الحنفيّ (٧٤٩ – ٨١٥هـ)، مخطوطة مكتبة مجلس سنا، طهران، الرقم ١٦٤٧.

٥٢. زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، بيبرس بن عبد الله الدوادار المنصوريّ الخطائيّ الحنفيّ (حوالي ٦٤٥ – ٧٢٥هـ)، تحقيق دونالد ريتشاردز، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٥٣. زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول، الدكتور مصطفى طه بدر، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٤٦م. وطُبِع أيضاً تحت عنوان محنة الإسلام الكبرى وصدر ضمن سلسلة الألف كتاب (الثاني)، الأعمال المختارة التي تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

٥٤. سقوط الدولة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والاتهام، الدكتور سعد بن محمد حذيفة الغامديّ، دار ابن حذيفة، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٥٥. «السلك الناظم لدُفَناء مشهد الكاظم»، بحث بقلم الدكتور مصطفى بن جواد بن مصطفى البغداديّ (١٩٠١ – ١٩٦٩م)، ضمن موسوعة العتبات المقدسة، أشرف عليها وكتب شطراً منها جعفر الخليليّ (١٩٠٤ – ١٩٨٥م)، مؤسّسة الأعلميّ، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٥٦. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ الدمشقيّ الشافعيّ (٦٧٣ – ٧٤٨هـ)، تحقيق

مجموعة من المحقّقين، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٥٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن العماد العكريّ الحنبليّ (١٠٣٢ – ١٠٨٩هـ)، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ.

٥٨. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله العَقيليّ الهَمْدانيّ (٦٩٨ – ٧٦٩هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٥٩. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله المعروف بابن أبي الحديد المدائنيّ المعتزليّ الشافعيّ (٥٨٦ – ٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.

٦٠. شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، أحمد بن إبراهيم بن نصر الله الكنانيّ الحنبليّ (٨٠٠ – ٨٧٦هـ)، تحقيق ناظم رشيد، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨م.

٦١. صدق الأخبار، حمزة بن أحمد بن عمر المعروف بابن سبَاط الغربيّ (توفي بُعَيد ٩٢٦هـ)، جروس برس، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٦٢. صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزيّ (٥٠٨ – ٥٩٧هـ)، تحقيق محمود فاخوري والدكتور محمد رواس قلعجيّ، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٦٣. صلة التكملة لوفيات النَّقَلَة، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن العلويّ الحسينيّ المعروف بابن الحلبيّ (٦٣٦ – ٦٩٥هـ)، تحقيق عبد الله الكنديّ، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٦٤. الصواعق المحرقة على أهل الرَّفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتميّ الشافعيّ (٩٠٩ – ٩٧٤هـ)، تحقيق عبد الرحمن التركي وكامل الخراط، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٦٥. طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد ابن قاضي شهبة الدمشقيّ الشافعيّ (٧٧٩ – ٨٥١هـ)، تحقيق الدكتور عبد العليم خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، انتهت طباعة آخر أجزائه سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٦٦. طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السُّبْكيّ الشافعيّ (٧٢٧ – ٧٧١هـ)، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحيّ، مصر، ١٩٩٢م.

٦٧. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد (١٦٨ – ٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت.

٦٨. العبر في خبر مَن غَبَر، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ الدمشقيّ الشافعيّ (٦٧٣ – ٧٤٨هـ)، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجِّد، مطبعة الحكومة، الكويت، ١٩٨٤م.

٦٩. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرميّ المغربيّ المالكيّ (٧٣٢ – ٨٠٨هـ)، مؤسّسة الأعلميّ، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٧٠. العراق في عهد المغول الإيلخانيين، الدكتور جعفر حسين خصباك (١٩٢٢ – ١٩٩٤م)، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨م.

٧١. العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، الأشرف إسماعيل بن العباس بن رسول الغسانيّ (٧٦١ – ٨٠٣هـ)، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلاميّ ودار البيان، بغداد، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٧٢. العظمة، عبد الله بن محمد بن جعفر، أبو الشيخ الأصبهانيّ (٢٧٤ – ٣٦٩هـ)، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوريّ، دار العاصمة، الرياض.

٧٣. عِقْد الجمان في تاريخ أهل الزمان، محمود بن أحمد بن موسى العينيّ الحنفيّ (٧٦٢ – ٨٥٥هـ)، تحقيق الدكتور محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م.

٧٤. عقود الجمان في تذييل وفيات الأعيان، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشيّ الشافعيّ (٧٤٥ –٧٩٤هـ)، مخطوطة المكتبة السليمانية بإستانبول، الرقم ٤٤٣٤.

٧٥. عيون التواريخ، محمد بن شاكر بن أحمد الكتبيّ الدارانيّ الدمشقيّ الشافعيّ (٦٨١ – ٧٦٤هـ)، تحقيق الدكتور فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.

٧٦. «الغزو المغوليّ كما صوَّره ياقوت الحموي»، بحث بقلم الدكتور بشار عواد معروف العبيديّ، منشور في مجلة الأقلام العراقية: السنة الأولى، الجزء ١٢س، ربيع الثاني ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٧٧. الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة، علي بن موسى بن محمد بن سعيد المغربيّ (٦١٠ – ٦٨٥هـ)، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار المعارف، مصر، ١٩٤٥م.

٧٨. فاطمة الزهراء والفاطميون، عباس محمود العقّاد (١٨٨٩ – ١٩٦٤م)، شركة نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٧٩. فتاوى ومسائل ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكرديّ الشهرزوريّ الشافعيّ (٥٧٧ – ٦٤٣هـ)، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٨٠. الفَخْريّ في الآداب السلطانيَّة والدول الإسلاميَّة، مُحَمَّد بن عَليّ بن طَباطَبا المعروف بابن الطِّقْطَقَى العلويّ الإماميّ (توفي في حدود سنة ٧٢٠هـ) ، دار صادر، بيروت.

٨١. الفكر العسكريّ عند ليدل هارت، بريان بوند، ترجمة سمير كرم، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.

٨٢. فوات الوفيات، مُحَمَّد بن شاكر بن أحمد الكتبيّ الدارانيّ الدِّمَشْقيّ الشَّافِعِيّ (٦٨١ – ٧٦٤هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

٨٣. في محكمة التاريخ: ابن العلقميّ والطوسيّ، الدكتور محمد جاسم حمَّادي المشهدانيّ، دار القلم، دمشق، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٨٤. قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، الدكتور راغب السرجانيّ ، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٨٥. الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الشيبانيّ (٥٥٥ – ٦٣٠هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٨٦. كتاب الحوادث، مجهول المؤلف، آخر سنة أرَّخ فيها الوقائع كانت ٧٠٠هـ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف والدكتور عماد عبد السلام رؤوف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٩٧م.

٨٧. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي الشهير بحاجي خليفة (١٠١٧ – ١٠٦٧هـ)، تحقيق أكمل الدين إحسان أوغلي والدكتور بشار عواد معروف، مؤسّسة الفرقان، لندن، مؤسّسة الفرقان، ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م.

٨٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي المعروف بابن منظور الأنصاريّ الرويفعيّ الإفريقيّ(٦٣٠ –٧١١هـ)، تحقيق عبد الله علي الكبير ورفيقاه، مصر، دار المعارف، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٨٩. محنة الإسلام الكبرى ، الدكتور مصطفى طه بدر، سلسلة الألف كتاب (الثاني)، الأعمال المختارة التي تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

٩٠. مختصر تاريخ بغداد في القديم والحديث، علي بن ظريف العبيديّ الأعظميّ الحنفيّ (١٨٨٢ – ١٩٥٨م)، الطبعة الثانية، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٩١. مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، ظهير الدين علي بن محمد البغداديّ المعروف بابن الكازرونيّ الشافعيّ (٦١١ – ٦٩٧هـ)، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٠م.

٩٢. المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء إسماعيل بن علي الشافعيّ (٦٧٢ –٧٣٢هـ)، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م.

٩٣. المدخل إلى الدراسات التاريخية، بحث بقلم لانجلوا وسينوبوس، منشور في كتاب النقد التاريخيّ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨١م.

٩٤. المُذَيَّل على الروضتين، عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة المقدسيّ الدمشقيّ الشافعيّ (٥٩٩ – ٦٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٩٥. مرآة الزمان، يوسف بن قِز أوغلي سِبط ابن الجوزي، البغداديّ الحنبليّ ثم الحنفيّ (٥٨١ – ٦٥٤هـ)، تحقيق الدكتور كامل سلمان الجبوريّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م؛ كما أفدنا من الطبعة التي أصدرتها مؤسّسة الرسالة العالمية في بيروت سنة ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، بتحقيق جمع من أفاضل الأساتذة.

٩٦. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشيّ العمريّ الشافعيّ (٧٠٠ – ٧٤٩هـ)، حقَّق بعض أسفاره وأشرف على تحقيقه الدكتور كامل سلمان الجبوري بالاشتراك مع مهديّ النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٩٧. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بالحاكم النيسابوريّ (٣٢١ – ٤٠٥هـ)، تحقيق يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت.

٩٨. المستعصم بالله العباسي، يحيى محمود بن جنيد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

٩٩. المستعصم بالله وسقوط بغداد، زينب خطَّابي، مذكرة مقدَّمة لنَيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، إلى قسم التاريخ بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالمة في الجمهورية الجزائرية.

١٠٠. المصنَّف، عبد الرزاق بن همام الصنعانيّ (١٢٦ – ٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظميّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٠١. المعارف، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِيّ (٢١٣ – ٢٧٦هـ)، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة، ١٩٦٩م.

١٠٢. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحَمَويّ الرُّوميّ (٥٧٤ – ٦٢٦هـ)، تحقيق فرديناند وستنفلد، لايبزك، ١٨٦٩م.

١٠٣. معجم الشيوخ، المعجم الكبير، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ الدمشقيّ الشافعيّ (٦٧٣ –٧٤٨هـ)، تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصدِّيق، الطائف، ١٤٠٧هـ/١٩٨٨م.

١٠٤. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانيّ الشاميّ (٢٦٠ – ٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٠٥. المعجم المختص بالمحدثين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ الدمشقيّ الشافعيّ (٦٧٣ – ٧٤٨هـ)، تحقيق محمد حبيب الهيلة، مكتبة الصدِّيق، الطائف، ١٤٠٨هـ.

١٠٦. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيليّ المقدسيّ الحنبليّ (٥٤١ – ٦٢٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٠٧. المغول، الدكتور السيد الباز العرينيّ(١٩١٠ – ١٩٦٩م)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

١٠٨. المغول في التاريخ، برتولد شبولر (١٩١١ – ١٩٩٠م)، ترجمة يوسف شلب الشام، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٩م.

١٠٩. المغول في التاريخ، الدكتور فؤاد عبد المعطي الصيّاد (١٩٣٣ – ١٩٩٩م)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.

١١٠. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، محمد بن سالم بن واصل المازني التميميّ الحمويّ الشافعيّ (٦٠٤ – ٦٩٧هـ)، ج٦، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١١١. مفيد العلوم ومبيد الهموم، جمال الدين محمد بن أحمد القزوينيّ الشافعيّ (كان حياً سنة ٥٥١هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

١١٢. المقتفي على كتاب الروضتين، القاسم بن مُحَمَّد بن يوسف البِرْزَالِيّ الشَّافِعِيّ (٦٦٥ – ٧٣٩هـ)، تحقيق الدكتور تركي بن فهد آل سعود والدكتور بشار عواد معروف، الآثار الشرقية، عمَّان، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

١١٣. المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية الإمامية الظاهرية، علي بن أبي الفرج بن الحسن البصريّ (كان حياً سنة ٦٥٩هـ)، مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس تحت الرقم ٦١٤٤.

١١٤. المناورات الحربية الدفاعية، بازيل ليدل هارت (١٨٩٥ – ١٩٧٠م)، ترجمة إبراهيم جزيني، دار العلم للجميع، بيروت.

١١٥. منتخب الزمان في تاريخ الخلفاء والعلماء والأعيان، أحمد بن علي بن المغربيّ ابن الحريريّ (كان حياً سنة ٩٢٦هـ)، تحقيق عبده خليفة، دار عشتار، بيروت، ١٩٩٣م.

١١٦. منتخَب المختار المذَيَّل به على تاريخ ابن النجار، محمد بن رافع بن هجرس السلاميّ الشافعيّ (٧٠٤ – ٧٧٤هـ)، انتخبه تقي الدين محمد بن أحمد الفاسيّ المالكيّ (٧٧٥ –٨٣٢هـ)، تحقيق عباس العَزَّاويّ، مطبعة الأهالي، بغداد، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

١١٧. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزيّ الحنبليّ (٥٠٨ – ٥٩٧هـ)، تحقيق محمد عطا ومصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١١٨. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرَّفْض والاعتزال، محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبيّ الشافعيّ (٦٧٣ – ٧٤٨هـ)، تحقيق محب الدين الخطيب.

١١٩. مورد اللطافة في مَن وليَ السلطنة والخلافة، يوسف بن تغري بردي الأتابكيّ الحنفيّ (٨١٣ – ٨٧٤هـ)، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٢٠. نثر الجمان في تراجم الأعيان، أحمد بن محمد بن علي الفيوميّ الحمويّ (توفي بعد ٧٧٠هـ)، مخطوطة مكتبة تشستر بيتي، تحت الرقم ٤١١٣.

١٢١. النجوم الزواهر في معرفة الأواخر، شهاب الدين أحمد بن خليل المعروف بابن اللبوديّ الشافعيّ (٨٣٤ – ٨٩٦هـ)، تحقيق مأمون الصاغرجيّ ومحمد أديب الجادر، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٢٢. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الأتابكيّ الحنفيّ (٨١٣ – ٨٧٤هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة.

١٢٣. نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائيّ المعروف بابن دقماق الحنفيّ (٧٥٠ – ٨٠٩هـ)، تحقيق الدكتور سمير طَبَّارة، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٢٤. نظام اجتماعي مغول، بوريس ياكوفلوفيتش فلاديميرتسوف (١٨٨٤ – ١٩٣١م)، ترجمة شيرين بياني، شركت انتشارات علمي فرهنكي، طهران، ١٩٨٦م.

١٢٥. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد البكريّ النويريّ الشافعيّ (٦٧٧ – ٧٣٣هـ)، تحقيق مفيد قميحة وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١٢٦. النهج السديد والدر الفريد في ما بعد تاريخ ابن العميد، المفضَّل ابن أبي الفضائل الأمجد ابن العسَّال القِبطيّ المصريّ (توفي بعد ٧٥٩هـ)،تحقيق الدكتور محمد كمال الدين السِّيِّد، دار سعد الدين، دمشق، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

١٢٧. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفَديّ الشَّافِعِيّ (٦٩٦ – ٧٦٤هـ)، تحقيق مجموعة محققين، طبعت أجزاؤه في بيروت وفيسبادن في سنوات مختلفة.

Criticism of Heritage works

393	Academic Theses or Misguidance? On the Occasion of Zaynab Khattabi Presenting Her Thesis Titled “Al-Mustaʿsim bi-Allah and the Fall of Baghdad”	Yusuf al-Hadi Manuscript Editor and Heritage Researcher Iraq

Manuscripts Indexes and bibliographies of publications

479	A Bibliography of Verified Texts in Theses and Dissertations in Iraqi Universities from 1966 CE to 2025 CE	Ali Adday al-Hasanawi Center for Heritage Revival Iraq
539	Photographs of (Illuminated and Illustrated) Manuscripts at the Center for Photographing and Cataloguing Manuscripts at the Holy Al-Abbasi Shrine	Salah Mahdi al-Sarraj Director of the Center for Photographing and Cataloguing Manuscripts, Holy Al-ʿAbbasi Shrine Iraq

Heritage News

603	From Heritage News	Prepared By Editorial Board

Content

Heritage studies

17	The Diwan of Abi Talib ibn ʿAbd al-Muttalib, Compiled by Abi Hiffan al-Muhzimi, and Its Manuscripts	Prof. Dr. Ali Muḥsin Badi University of Sumer Iraq
97	Al-Sayyid Najm al-Din ibn al-Sayyid ʿAbd Allah al-Ḥusayni al-Jazaʾiri and His Manuscript Heritage (d. 1079 AH)	AL-Shaykh Muḥammad Lutf Zadah al-Tabrizi Al-Shaykh al-Tusi Center for Studies and Research Iraq
133	The Notable Figures from the Book Dar al-Salam by al-Mirza Ḥusayn al-Nuri	AL-Shaykh Abbas Yunus al-Ḥusayn al-Zaydi Islamic Seminary- Holy Najaf Iraq
261	The Methodology in the Natural Sciences Among Arab and Muslim Scholars (The Sciences of Medicine, Pharmacy, and Astronomy as a Model)	Dr. Sharif Ali al-Ansari (Senior Researcher at the Manuscripts Center – Bibliotheca Alexandrina) Egypt

Reviewed texts

291	The Commentary (Parsing) of the Prologue of Al-Misbah fi al-Nahw by Al-Matarizi, by Abd al-Latif ibn Jalal al-Din al-Qazwini, Known as Qadi Balaṭ (d. 853 AH)	Dr. Ali Sulayman al-Jawabirah College of Arts – Taibah University – Al-Madinah al-Munawwarah Saudi Arabia

lowing regulations:

1. The researcher or reviewer will be informed of delivering the posted material to be published within a period may not exceed the maximum of two weeks.
2. The researchers should be reminded of the publication acceptance of the editorial board within a period may not exceed the maximum of two months.
3. The pieces of research, whose evaluators realize that it should be amended or be added to, will be returned to their writers in order to be organized accurately before publication.
4. The researchers will be informed if their pieces of research are rejected without mentioning the reasons of rejection.
5. Every researcher will be given one copy of the issue in which his research is published, with three separate pieces of research from the same published material and a reward, as well.

- **The journal considers the following priorities in publication:**

1. The date of receiving the research by the editor-in-chief.
2. The date of presenting the revised pieces of research.
3. The variety of the research materials as far as possible.

- The published pieces of research express the opinions of their writers and do not necessarily reflect the opinions of the journal.
- The pieces of research are arranged according to the technical considerations which have nothing to do with the status of the researcher.
- The reviewer or the researcher who is not known for the journal has to send on the journal email, a brief biographical note, his address and email, for the introductory and documentary purposes on the following email: ***Kh@hrc.iq***
- Editorial board reserves the right to make the required amendments upon the approved pieces of research for publication.
- The board of editors will chose distinguished researches published in the magazine, and vows to republish them separately.

The Publishing Terms

- The journal should publish the scientific pieces of research that are related to the manuscripts and documents, reviewed texts, direct studies, and objective critical follow-ups which are related to it.
- The researcher should commit himself with the requisites of the scientific research and its rules in order to get benefit from its sources, and be within the frame of the Researchers 'style during discussion and criticism. Otherwise, the examined research or the text will contain certain topics that attempt to raise the feeling of sectarianism or even sensitivity towards any belief, ideology, or sect.
- The research should not be published previously or presented to other means of publication. The researcher is responsible for doing an independent commitment.
- The font should be in (Simplified Arabic). The texts printing size should be (16), and the margines printing size should be (12), and the pages number should not be less than (20).
- The reviewed research or text should be printed on the (A4) type of paper in one copy with a CD. The pages should be numbered successively.
- The research should be presented with its Arabic and English abstracts, each in a separate paper including the title of the research.
- The familiar scientific principles, documentation and references should be taken into account. The documentation should include the name of the source, the number of the part and the page
- The research should be presented with a separate list of references including the title of the source, the name of the author, the name of the investigator or the interpreter if s/he is available, the publishing country name, the place of publication and finally the date of publication. The name of the books and pieces of research should be arranged alphabetically. And if there are foreign references, they should be added separately, i.e. not within the Arabic references
- Researches shall be subject to the scientific deduction program and to a confidential assessment of its validity for publication, and shall not be returned to its owners, whether accepted for publication or not, according to the fol-

Prof. Dr. Waleed M. Al- Seraakbi (Syria)

Collage of Arts – Hama University

Dr. Abbas Hani Al- Grakh (Iraq)

Ministry of Education – Babylon Directorate of Education

Dr. Ali Fareg Al- Ameri (Italy)

Ambrosiana Library / Milano

Collage of Sociology – University of Milano Bicocca

Advisory board

Prof. Dr. Tarek Abed Aoun Al Janabi (Iraq)

College of Education - Al-Mustansiriya University

Prof. Nebeela Abd Al- Muna›m (Iraq)

Arab Scientific Heritage Revival Centre – Baghdad University

Prof. Dr. Ahmed Shawky Benbin (Morocco)

Director of Al-Hassania Library at the Royal Palace in Rabat

Dr. Saeed Abd Al- Hammeed (Egypt)

Director General of Restoring Museums of Antiquities– Ministry of Egyptian Antiquities

Prof. Dr. Fadhil Al- Beyaat (Turkey)

The Research Centre for Islamic History, Art and Culture

Prof. Dr. Munther A. Al Muntheri (Iraq)

Collage of Arts – Baghdad University

The general supervision

His Eminence Sayid Ahmed Al- Saafi

Editor-in-chief

Sayid Layth Al- Musawi

Managing editor

Mohammad Al-Wakeel

Sub editor

Dr. Husayn Al-Sheibaani

Editorial board

Dr. Ali Habeeb Al- Aedaani

Dr. Ammer Mahmoud AL-Kaabi

Dr. Mehdi Mojtahedi

Hasan Arebi Al-Khalidi

Art Director

Ali Hussien Alwan ALtamimi

English Translation

Habib AL Zaatar\ Lebanon

Al- Abbas Holy Shrine
The High Commission for Heritage Revival
The Heritage Revival Centre

Al-Abbas Holy Shrine. The High Commission for Heritage Revival. The Heritage Revival Centre.

AL-Khizanah : A Half Annual Scientific Journal which is Concerned with Manuscripts and Documents \ Issued by The Heritage Revival Centre.- Karbala, Iraq : Abbas Holy Shrine, The High Commission for Heritage Revival, The Heritage Revival Centre, 1438 hijri = 2017-

Volume : Illustrations ; 24 cm

Semi-Annual.- The Nineteenth Issue, The Tenth Year, February 2026-

Includes Bibliographies.

Text in Arabic abstract in Arabic and English.

ISSN : 4586 - 2521

1. Manuscripts --Periodicals 2. Periodicals Arabic -- Iraq. A. title.

LCC : Z115.1 .A8378 2026 NO. 19

Cataloging Center and Information Systems - Library and House of Manuscripts of Al-Abbas Holy Shrine

You can contact or communicate with the journal via:

00964 7813004363

To explore the issues of Al-Khizana Journal and stay updated with its latest publications, please scan the QR code below.

ISSN : 4586 - 2521

Consignment Number in the Housebook and Iraqi Documents: 2245, 2017

Iraq- Holy Karbala

Post-Office: Holy Karbala P.o (233)

Sale Price

Inside Iraq: 10$ - Outside Iraq: 15$

Al- Abbas Holy Shrine
The High Commission
for Heritage Revival

Al-Khizanah

A Half Annual Scientific Journal which is Concerned with Manu-scripts Heritage and Documents

Issued by
The Heritage Revival Centre

The Nineteen Issue, The Tenth Year,
Shaban 1447 AH - February 2026

In the Name
of Allah the
Compassionate
the Merciful

PRINT ISSN : 2521 - 4586

Al-Khizanah

A Half Annual Scientific Journal which is Concerned with Manuscripts Heritage and Documents

Issued by
The Heritage Revival Centre

The Nineteen Issue, The Tenth Year,
Shaban 1447 AH - February 2026

for contact:
mob: 00964 7813004363
web: kh.hrc.iq
email: kh@hrc.iq